الدكتور
فرج الله عبد البارى أبو عطا الله
استاذ العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
بطنطا

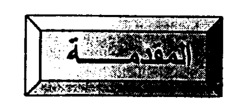
# العقائد الدينية
# عند الأمم الوثنية
## ( عرض ونقض )

الطبعة الثانية



١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م




الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

**أما بعـــد :**

فهذه دراسة عن العقائد الدينية لدى بعض الشعوب القديمة أحاول أن أرصد فيها مظاهر التدين عند هذه الأمم جاعلاً نُصب عيني التعليق على هذه المظاهر مبيناً أن هذه الأمم انحرفت عن التوحيد إلى الوثنية . والذي يؤكد هذا من وجهة نظري المتواضعة أن الباحث يرصد بعض بقايا التوحيد بين ركام الوثنيـــــة .

وقد اقتصرت في هذه الدراسة على عقائد المصريين ، والفرس ، واخترت من أديان الهند البوذية على اعتبار أنها لم تحظ بكثير من الدراسة خاصة عند علماء الإسلام المتقدمين . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لاحظت أن البوذية تحاول أن تجد لها مكاناً بين العقائد الدينية في العالم المعاصر .

ثم تحدثت عن عقائد الصين القديمة خاصة الكونفوشيسية ورددت على فرية بعض الغربيين الذين يذهبون إلى أن معرفة الصين وأديانها . من الأعمال العظيمة التي تُنسب للأوربيين في القرن الثامن عشر . فذكرت معرفة المسلمين بالصين وأديانها منذ وقت مبكر جداً في التاريخ الإسلامي وأوضحت أن العلمـــاء

المسلمين مثل المسعودي وابن النديم – تحدثوا عن الصين وشعبها والعلاقات التي ربطت بينهم وبين المسلمين .

**الفصل الأول :**

تحدثت فيه عن المصريين القدماء وتقديسهم للحيوانات ، والسبب في ذلك ثم تحدثت عن توحيدهم المزعوم وبينت أن هذا التوحيد الذي تزعمه إخناتون لا يمت إلى التوحيد الحق بصلة . ثم تحدثت عن البعث وكيف اختلط عندهم الحق بالباطل فيما يتعلق بالحياة بعد الموت ورجحت أن المصريين عرفوا التوحيد الحق وكذا البعث عن طريق الأنبياء بوجه عام . وعن طريق إبراهيم عليه السلام ويعقوب وأبنائه ثم عن طريق دعوة سيدنا موسى عليه السلام بوجه خاص .

**أما الفصل الثاني :**

فعقدته للحديث عن عقائد فارس القديمة فتحدثت عن الفرق بين المجوسية والثنوية . ثم تساءلت هل المجوس أهل كتاب أو لا ؟ وعرضت آراء العلماء في هذا الشأن . وتحدثت عن عقائد الفرس قبل زرادشت ، وهذه العقائد تمثلت في الكيومرثية ، والزروانية . ثم تحدثت عن أهم المظاهر الوثنية في تلك الحقبة من الزمن والتي تمثلت في عبادة النار ومظاهر الطبيعة المختلفة ، وتمثلت أيضاً في تقديس الملوك وعبادة الأسلاف .

ثم تحدثت عن زرادشت وعقيدته وما دار حول هذه الشخصية من أخذ ، ورد ثم تساءلت هل دعا زرادشت إلى التوحيد وعرضت الخلاف حول نبوتـــــه

ورجحت أنه ليس بنبي لأن النبوة لا تقبل إلا بالنص ولا تثبت إلا بالتواتر ثم عرضت كتاب زرادشت والاختلاف حوله . ثم بينت أثر الزرادشتية على الفرس

ثم تساءلت هل الزرادشتية هي المجوسية ؟ ورجحت أن تعاليم الزرادشتية لا تخرج عن المجوسية ومن ثمَّ فالزرادشتية هي المجوسية . ولم أغفل الإشارة إلى المعاد عند المجوس . فأوضحت تصورهم للبعث والحساب وكيف اختلطت التصورات البشرية ببقايا الوحي فيما يتعلق بالمعاد والنعيم والعذاب .

ثم تحدثت عن العقائد الفارسية بعد زرادشت وهي ما تعرف بالثنوية . فتحدثت عن المرقونية ، والديصانية ، والمانوية التي توقفت عندها مبيناً الاضطراب الذي وقع فيه " ماني " خاصة فيما يتعلق بمزج النور والظلمة وخلاص بعضهما من بعض .

وبينت موقفه من الأنبياء والشرائع وعقيدته في المعاد وأوضحت أنه يقول بالتناسخ ، وأنه تأثر به من الهند بعد أن نُفِيَ إليها على نحو ما يقرر " البيروني " ثم بينت عوامل انتشار المانوية .

ثم أوضحت عقيدة " مزدك " وشيوعية المال والنساء عنده ..

ثم ختمت عقائد الفرس القديمة . بتعقيب اشتمل على :

**أولاً** : على منهج القرآن الكريم في إثبات الوحدانية وتنزيه الله عن الشريك .

**ثانياً** : بعض ردود علماء الكلام على المجوسية والثنوية .

**أما الفصل الثالث :**

فكان عن الديانة البوذية .. عرضت في هذا الفصل لنشأة " بوذا " وحياته وأهم الأسس التي أقام عليها بوذا تعاليمه ، وأوضحت التشابه بين الأساطير التي نُسجت حول ميلاده وكيف تأثر النصارى بتلك الأساطير في شأن المسيـــح عليه السلام .

ثم عرضت لبعض القضايا في البوذية ومنها قضية الألوهية وهل اعتقد بوذا في الإله أو أنكره ولم يهتم به ؟ ، وأخيراً عرضت لقضية البعث والجزاء وهل دعا إليها " بوذا " أو لا ؟ .

**أما الفصل الرابـــع :** فعقدته للحديث عن الديانة الصينية تحدثت في هذا الفصل عن مظاهر العبادة عند الصينيين قبل كونفشيوس وبعده ، ثم تناولت التعاليم الأخلاقية عند الصينيين القدماء وكان المنهج الذي سلكته هو أن أعرض الديانة من كتب أربابها وكنت أعلق بين الحين والآخر بتعليقات إسلامية تصحح الخطأ ، وترشد إلى الحق الذي انحرف عنه أرباب تلك الديانات الوضعية .

وآمل بهذه الدراسة أن أكون قد أحطت القارئ المسلم بعقائد تلك الأمم القديمة ، وأوقفته على عدد من الديانات انحرفت بالإنسان إلى أسفل سافلين فجعلته يعبد الحجر والشجر ، ويقدس الحيوانات يفعل ذلك كله وهو الإنسان الذي كرمه الله وسخر له ما في السموات والأرض .

وأخيراً أود بهذه الدراسة أن ألفت نظر المسلمين إلى أكبر نعمة أنعم الله بها عليهم ، وهي نعمة الإسلام الذي يحرر الإنسان من أثقال العبودية لغير الله

ويرفعه إلى عليين بالإسلام . وصدق الله العظيم إذ يقول ( **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ) سورة المائدة الآية : ٣ .

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين .

د/ فرج الله عبد البارى أبو عطا الله
**استاذ العقيدة والفلسفة**

# الفصل الأول

## الديانات المصرية القديمة

**تمهيد :**

هناك شبه إجماع بين المؤرخين على أن مصر تعتبر مأوى لكثير من الأفكار الدينية – بل يتجاوز البعض فيذهب إلى أن الديانة المصرية هي أولى الديانات البشرية التي ظهرت على وجه الأرض من غير استثناء [١] وإن كنا لا نسلم بهذا الرأي ، لأن المصريين ليسوا هم أول الشعوب التي ظهرت على وجه الأرض ، غير أننا مع الذين ذهبوا إلى أن الدين في مصر كان من فوق كل شيئ ومن أسفل منه ، فنحن نراه في كل مرحلة من مراحله وفي كل شكل من أشكاله من الطواطم إلى علم اللاهــوت " [٢] .

ونحن مع " ديورانت " وغيره في أن الدين ومظاهره كانت مسيطرة على كل مظاهر الحياة ، وإن كان لنا تحفظ فيما يختص بالتطور ، من الطواطم إلى اللاهوت ، لأن الأصل هو التوحيد والألوهية الحقة عند المصريين وغيرهم من الأمم ثم يأتي الانحراف إلى الوثنية بمظاهرها المختلفة .

ولقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الحضارات المختلفة تأثرت بالديانة المصرية إلى درجة أن أكد بعض العلماء تأكيداً قاطعاً أنه لم تظهر ديانة في الدنيا

---

(١) الفلسفة الشرقية ص ٢٢ .
(٢) قصة الحضارة [ ٢ / ١٥٥ ] .

إلا ولها في عقائد وادي النيل عنصر . وأن الديانات الإنسانية ليست إلا فتاتاً متساقطاً حول مائدة بلاد الفراعنة الذين سبقوا جميع سكان الكرة الأرضية إلـــى حمل لواء المعرفة ، وفتح كثير من مغلقات العلم ، وحل ألغاز الكون [١] وهناك جذب ، ورد ، في هذه النقطة بين العلماء خاصة الغربيين منهم [٢] .

والذي يهمنا أن المصريين كانوا مؤلهين ، كانت نزعتهم وثنية ، تمثلت في تقديس مظاهر الطبيعة المختلفة من شمس ، وقمر ، وماء ، ونبات ، وحيوان وإنسان . كل هذه المظاهر قدسها المصريون – رغبة ، أو رهبة ، أو اعتقاداً أن الإله حل في تلك الأشياء . وسنتعرض لهذه المظاهر – وكيف اعتقد المصريون فيها .

وما نؤكده في هذا التمهيد هو أن تقديس مظاهر الطبيعة المختلفة – إنما قدسها المصري القديم بعد انحرافه عن عقيدة التوحيد – فالأصل هو الوحدانية ، والطارئ هو الشرك .

ونحن إذ ننبه على هذا – نصحح ما أخطأ فيه معظم الذين بحثوا في الديانة المصرية القديمة ، إذ أنهم ينطلقون من نقطة التطور من الطواطم إلى اللاهوت ، وهذا خطأ من الناحية الإسلامية ، ومن الناحية العلمية أيضاً [٣].

---

[١] الفلسفة الشرقية ص ٢٢ .
[٢] انظر الفلسفة الشرقية ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .
[٣] انظر : دراستنا : نشأة الدين والتدين بين التوحيد والتطور .

## المبحـــث الأول

## تقديس مظاهر الطبيعة

### أولاً : مظاهر الطبيعة :

احتلت العناصر الكونية ومظاهر الطبيعة مكانة عالية في قلوب المصريين وأخيلتهم ، فرأوا في الشمس ، والقمر والأرض ، والسماء ، والماء والهواء ، آلهة يرهبون جانبها ويقدسونها حيثما تكون ، دون الحاجة في بداية الأمر لرمز يُكنى عنها أو معبد يشيد لعبادتها (١) .

وقد كانت الآلهة في مصر من الكثرة بمكان إلى الحد الذي جعل ديورانت يقول : " ولسنا نجد في بلد من البلاد إذا استثنينا بلاد الرومان والهند ما نجده من الآلهة الكثيرة في مصر " (٢) .

وهذه الآلهة المتعددة ما كانت لتعبد لذاتها عند خواص المصريين ولكن كانت تعبد عندهم ، لأنها تحمل الصفات الإلهية . وإن كان الأمر اختلف عند العامة الذين مع توالي العصور صاروا يعبدون هذه المظاهر لذاتها .

يقول صاحب الأثر الجليل لقدماء وادي النيـــل :

---

(١) حضارة مصر والشرق القديم ص ٨٨ – للدكتور : إبراهيم أحمد زرقانة وآخرون . الناشر مكتبة مصر . وانظر الديانات والعقائد في مختلف العصور [ ١ / ٣٠٤ ] أحمد عبد الغفور .

(٢) قصة الحضارة [ ٢ / ١٥٦ ] .

" لقد حصروا صفاته العلية في الأشياء النافعة كالشمس ، والثور وعبدوا هذه المنفعة إذ هو مصدرها وأصلها ، ولا جرم أن الكهنة كانت تعرف الحقيقة ، وتقصد في عبادتها وجهه الكريم ، أما العامة فصاروا مع توالي الأعصار يتعبدون الأشياء لذاتها ، ويتقربون إليها زلفى " [١] .

وهذا ما سيتضح أثناء عرضنا للنزعة الوثنية بمظاهرها المختلفة عند قدماء المصريين .

وسنتحدث عن عبادتهم للسماء وما فيها ، وكذلك الأرض وما عليها ، وأخيراً عن الإنسان وكيف ألهه المصريون ، ونتحدث عن المظاهر العلوية ، متمثلة في الشمس ، والقمر ، والكواكب .

---

[١] الأثر الجليل لقدماء وادي النيل ص ١٣٥ – أحمد نجيب – طبعة بولاق ١٨٩٥ .

## عبـــادة الشمـــس ، والقمـــر

### ( ١ ) الشمس :

عبد المصريون الشمس وكانت أعظم الآلهة عندهم ، فلقد استرعت نظر المصري في السماء فتخيل ذلك القرص الأحمر المتوهج الذي يتألق في سماء مصر الصافية الأديم ، وشادوا لها المعابد وأقاموا لها الهياكـل (١) .

ولقد لعب الخيال المصري دوراً كبيراً في رسم صورة الشمس التي كانت تصور أحياناً على أنها عمل مقدس يولد مرة في فجر كل يوم . ومرة تعبد على أنها الإله " رع " الأب اللامع الذي نفخ الأم بأشعة الحرارة والضوء النافذ – وتصورها ملكاً تحيط به حاشيته ، وهو يجوز السماء في النهار ، راكباً سفينة عظيمة ، وأحياناً تُصور الشمس على أنها جعلاً ذا جناحين أو جعلاً كبيراً يدحرج أمامه الشمس كما يدحرج الجعل كرته (٢) .

ولعل المصري نظر إلى الشمس واعتبر أن الألوهية أكبر ما تكون فيها ، لأنها مصدر الضوء وكل ما على الأرض من حياة (٣) .

ولقد صاغ المصريون القدماء – قصائد طويلة تعتبر من أجمل ما بقي من الأدب القديم ، كلها تمجد الشمس وتبين أنها المصدر الوحيد للخلق والانتصـــار

---

(١) انظر أدولف إرمان – ديانة مصر القديمة ص ١٩ . وانظر : جيمس هنري براستد : العصور القديمة ص ٥٤ وقصة الحضارة [ ٢ / ١٥٥ ، ١٥٦ ] .
(٢) ديانة مصر ص ١٩ ، وحضارة مصر والشرق القديم ص ٨٩ .
(٣) انظر قصة الحضارة [ ٢ / ١٨٩ ] .

والرزق وكل ما يجري على الأرض والسماء ، وكانت الأدعية والتراتيل ، تسجل على جدران المعابد والهياكل . ومن هذه الأدعيـــة :

يا روح الشمس استيقظ بسلام .

أنت يا ذا النور المضيئ الطاهر .

إنك أنت الذي تشرق على كل مكان بنورك .

لا تغضب علينا وتنزل بنا نقمتك .

إظهر في سلام .

يا حسن الوجـــــه .

يا رب الأشعـــــة .

يا خالق النـــــــور [١] .

وواضح من هذه الأدعية أن الاعتقاد السائد أن هناك روحاً للشمس ، هذه الروح هي التي تجعل الشمس تشرق وتغمر الكون بأشعتها ، ولذلك يتوجه عليها لتظل تملأ الكون وتغمره بالخيرات .

وسيتضح فيما بعد كيف أن محاولات توحيد المعبودات في شيئ واحد ، ارتكزت على الشمس [٢] .

---

[١] **قصة الديانات : سليمان مظهر . المقدمة [ ١ / ٤ ] وقصة الحضارة [ ٢ / ١٦٩ / ١٧٥ ] وانظر العقائد والأديان [ ٤١ – ٤٣ ] للدكتور محمد عبد العال الحيني – الهيئة العامة للكتاب ١٩٧١ .**

[٢] **انظر : اليونان والشرق القديم [ ١ / ٨٩ ] وانظر : " اللـه " للعقاد ص ٦٦ .**

وعلى هذا يجب أن نفهم أن محاولة التوحيد التي قام بها " إخناتون " ، لم تكن إلا محاولة – مادية وثنية – تجمع الآلهة المادية في مظهر مادي واحد وهو الشمس ، وسنتعرض لهذه المحاولة مبرزين رأي الإسلام فيها .

## ( ٢ ) عبـــادة القمــــــــر

من المظاهر العلوية التي توجه المصريون القدماء إليها القمر ، ولعل صورة القمر الذي يهدي الناس بالليل قد أثار المصريين ولفت أنظارهم إليه . لقد كان المصري القديم ، يتصور مع بزوغ القمر ومحاقه – إلهين للخير والشر .

**يقول أدولف إرمـــان** : " وجه المصري القديم أهمية كبرى نحو القمر ، وعين حورس ، كانت تصغر رويداً رويداً ، ثم لا تلبث أن تنمو بشكل عجيب ، حتى تكتمل ، ولا يمكن للخيال البسيط غير المعقد أن يفهم هذه الظاهرة إلا بأن هناك إلهاً شريراً يعتدي على هذه العين فيجرحها ، ثم يسارع كائن آخر طيب فيعالجها " [١] .

هكذا تصور المصري القديم ظهور القمر بدراً ثم أفوله وعودته مرة أخرى – وارتبط بهذا بإله الخير " **تحوت** " وإله الشر " **ســـت** " .

وقد احتل القمر مكاناً بارزاً لارتباطه بالإله المحلي إله الكتابة والحساب والنشاطات العقلية – بل يذهب البعض إلى أن المصريين قد ألهوا القمر وعبدوه قبل الشمس – إلا أن الشمس في الديانة الرسمية كانت أعظم الآلهـــة [٢] .

---

[١] **ديانة مصر القديمـة ص ٢٥ ، ٢٦ .**
[٢] **قصة الحضارة [ ٢ / ١٥٦ ] والشرق واليونان القديم [ ١ / ٨٩ ] .**

ولم يكتف المصريون بعبادة القمر وتأليهه ولكنهم نسجوا الأساطير حوله وحول نشأته ، ومما نسجوه حول القمر أن " رع " كان يسكن السماء ، فقال مرة نادوا إليَّ " تحوت " فأحضروه إليه في الحال ، فتحدث جلالة هذا الإله إلى تحوت قائلاً

" فلتكن أنت في السماء مكاني إبان تلك الفترة التي أضيئ فيها الدنيا السفلى – فأنت في مكاني هذا كنائب عني ولسوف يدعونك الناس بنائب رع "(١)

بهذا الخيال أنزل المصري القديم القمر في المرتبة الثانية بعد الشمس باعتباره نائباً عنه وعبدوه وقدسوه . وكان بجوار القمر بعض الكواكب الأخرى التي لفتت نظر المصري القديم ومن بين النجوم الكثيرة في السماء خص المصريون منها " الشِعْرَىْ اليمانية " ونجم آخر عرف باسم " ساح " وهذان النجمان عُبدا ولفتت الأنظار إليهما على اعتبار أن نجم الشعرى عندما يظهر " في آخر شهو يوليو في السماء صباحاً يكون ذلك بمثابة البشير لوصول الفيضان ، واعتبر هذا رمزاً لبدء السنة الجديدة للمزروعـات "(٢) .

وهنا ننبه إلى أن العبادة في بعض الأحيان لم تكن لذات المعبود وإنما لما يصاحب هذا المعبود من نفع مادي يحتاج إليه المصري القديم .

أما النجم الآخر " ساح " فقد كان " ظهوره بمثابة بشير لحصاد العنب والذي يوافق في مصر شهري يونيو ويوليو "(٣) . بهذا الربط بين ظهور نجمي " الشعرى ، وساح " ، وبين مصاحبة ظهورهما – لوصول الفيضان – وحصـاد

---

(١) ديانة مصر القديمة ص ٧٧ .
(٢) نفسـه ص ٢٧ .
(٣) نفسـه .

العنب اعتبر المصريون " هذين النجمين من بين الكائنات المقدسة ، وجعل المصريون منهما إلهين عظيمين " [١] .

ولم يكتف المصريون بهذا الربط – النفعي – ولكن اعتبروا أن النجوم الكثيرة في السماء ما هي " إلا موتى أو أرواح سعيدة وجدت طريقها إلى السماء حيث ظلت في سناء دائم إلى جانب الآلهــة " [٢] .

**[١] ديانة مصر القديمة ص ٢٧ .**
**[٢] انظر : أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ .**

## تقديس الحيوانـــــات

من المظاهر الأرضية التي توجه إليها المصريون في عبادتهم الحيوان ، ويبدو أن الحيوان قد احتل مكاناً بارزاً عند المصريين .

يقول " ديورانت " : " كانت الآلهة من الحيوان أكثر ذيوعاً بين المصريين من النبات ، وكانت هذه الآلهة من الكثرة بحيث غصت بها الهياكل كأنها معرض حيوانات صاخبة ، وعبد المصريون في هذه المقاطعة أو تلك وفي هذا الوقت أو ذاك – العجل ، والتمساح ، والبقرة ، والأوزة ، والعنزة ، والكبش ، والقـــط والكلب ، والدجاجة ، والخطاف ، وابن آوي ، والحية ، وكانت البقرة لها مكانة خاصة عندهم .

وظل تقديس الحيوان عند المصريين حتى بعد أن ألهوا البشر . ظلوا محتفظين بالصورة الحيوانية المزدوجة وبرموزهـــا " [١] .

وهذا التنوع في أنواع الحيوانات وعبادتها يدل على أن المصريين في مقاطعاتهم كانوا يقدسون بعض الحيوانات ، وكانوا يتخذون من بعض الحيوانات رموزاً لهـــم .

ولم تكن الحيوانات على درجة واحدة من القداسة عند المصريين ، فالمعز والعجل يُقَدَسُوْنَ تقديساً خاصاً ، ويعدونهما رمز القدرة الجنسية الخالقة [٢] .
ولم تكن عبادة الحيوانات على وتيرة واحدة ، فمع استمرارها زمنـــــــاً

---

[١] قصة الحضارة [ ٢ / ١٥٨ ] .
[٢] نفسـه [ ٢ / ١٥٨ ] .

طويلاً ، إلا أنها في بعض الأحيان كانت بارزة ، وفي فترات أخرى كانت منكمشة . والذي يلفت النظر أن حيواناً معيناً يُعبد في منطقة ويرمز له بالخير والقوة ، بينما يُرفض في منطقة أخرى ، وهذا ما حدا ببعض الباحثين إلى أن يعتبروا ذلك دليلاً على أن عبادة الحيوانات كانت محلية لكل إقليم وليست عامة [١] .

ولكن مع كون عبادة الحيوان محلية فإن ذلك بالنسبة لنوع الحيوان أي أن المصريين لم يتفقوا في كافة البلاد على تقديس حيوان واحد فقط دون سواه – لم يحدث هذا وإنما نظروا إلى الحيوانات كلها على أنها مقدسة – كل في إقليمه .

وإن الباحث ليعجب من أنواع الحيوانات التي توجه إليها المصريون في كافة أنحاء مصر .

**يذكر هيرودوت :** " أن المصريين قد اعتبروا كل ما عندهم من حيوانات مقدساً بما في ذلك الحيوانات المستأنسة وغير المستأنسة " [٢] ولكنه لم يذكر سوى خمسة عشر نوعـــاً .

وبتتبع ما ذكره المؤرخون حول الحيوانات المقدسة نجد أن عددهم حوالي اثنين وثلاثين نوعاً ، مثل الكلب ، والتمساح ، والذئب ، والأرنب ، وعجل أبيس والجعل [٣] ، والجعران والسمكة ، والأفعى ، وأنواعاً متعددة مذكـــورة باسمهـــا [٤].

---

(١) انظر : اليونان والشرق القديم [ ١ / ٨٧ ] .
(٢) سليم حسن . مصر القديمة [ ١٦ / ٧١١ ] .
(٣) انظر مجلة العربي العدد ٣٦٠ نوفمبر سنة ١٩٨٨ ، ففيها مقال عن الجعل وعبادة المصريين له وتأليههم إياه .
(٤) انظر سليم حسن : مصر القديمة [ ١٦ / ٧١١ ، ٧١٢ ] .

ولم يكتف المصريون بعبادة حيوان – والاحتفاء به في حياته ، ولكن انتقل التقديس إلى ما بعد الوفاة .. فقد أسفرت أعمال التنقيب عن مقابر كثيرة دفنت فيها وفقاً للطقوس المصرية القديمة ، جثث محنطة كثيرة لحيوانات معينة ، وبخاصة عجل أبيس الذي كانت يشترط فيه أن يكون أسود الجلد فيه نقط بيضاء وفي جبهته شامة بيضاء مثلثة الشكل ويوم أن يعثروا عليه يعتبرونه عيداً كما أن موته يشكل حزناً عاماً ، ويستمر مهما طال الزمن إلى أن يجدوا غيره ولتقديسه جعلوا له كهنة وخداماً يقومون بنظافته وإعداد فرشه وفي أيام عيده يخرج وسط الكهنة ليتبرك به الناس ولهذا العجل مقبرة هائلة بسقارة يعرف باسم " السرابيوم " وهي مقبرة تحتوي على توابيت ضخمة دقيقة الصنع " (١) .

وقد تم العثور على مدافن ثيران هذه الفصيلة العائدة إلى ما بين القرنين الرابع عشر والأول قبل الميلاد (٢) .

وهذا إن دل فإنما يدل على أن المصريين نظروا إلى بعض الحيوانات نظرة خاصة تعدت الحياة إلى ما بعدها ..

وقد بلغ من اهتمام المصريين بحياة الحيوان أن " عقوبة الموت أو الجزاء النقدي تُفرض على من يخالف القانون ويستحل قتل الحيوان " (٣) ، خاصة إذا كان مقدساً كما زعموا .

---

(١) **الأديان القديمة في الشرق ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .**

(٢) **اليونان والشرق القديم [ ١ / ٨٧ ] وانظر حضارة مصر والشرق القديم ص ٨٣ للدكتور إبراهيم أحمد زرقانه الناشر مكتبة مصر .**

(٣) **اليونان والشرق القديم .**

**والسؤال الذي يطرح هنا : لماذا عبد المصريون الحيوانـــات ؟**

لقد ذهب العلماء مذاهب شتى في تفسير تلك الظاهرة التي جعلت الكثيرين يحتقرون المصريين لعبادتهم الحيوان وتأليههم إياه .

وسوف نعرض أبرز الاتجاهات في ذلك .

**أولاً** : ذهب بعض الباحثين إلى أن منشأ هذه القداسة هو أن المصريين في عصور ما قبل التاريخ كانوا منقسمين إلى شعوب . كل شعب اختار له حيواناً يطعمه إلى جانب إلهه الذي كان إذ ذاك رجلاً من بني الإنسان ، وكان التقديس ينصب على الحيوان باعتباره حيواناً ، وعلة التقديس كانت إما الرهبة من ضرر هذا الحيوان وشره ، وإما الرغبة في نفعه وخيــره (١) .

**ثانياً** : أن هذه الحيوانات كانت رموزاً للآلهة ، فكان لكل إله رمز خاص به فيرمز لتوت برأس أبي قردان ويرمز لإله طيبة برأس كبش ، وفتاح برأس عجـــل (٢) .

**ثالثاً** : كان المصريون يعتقدون أن الروح تعود بعد الموت لتقطن في الحيوانات ، فكانت تحل تارة في عجل ، وأخرى في تمساح ، وثالثة في قط ورابعة في طائر ، ويقدمون لهذه الحيوانات أنواع العبادة والإجلال لا على أنها معبودات لهم ، ولكن على أنها ظروف حلت فيها شخصيات الإله الأعظم التي لا تتناهى ، ثم تطورت هذه النظرية إلى أن أصبحت الحيوانات رموزاً معنويـــة

---

(١) **الفلسفة الشرقية ص ٢٨ ، ٢٩ .**
(٢) **الديانات القديمة ص ١٤ ، ١٥ .**

وأفكـــاراً مجـــــردة (١) .

رابعاً : أن الحيوانات كانت تعتبر عالماً غريبا عن الإنسان.، ولذلك فسر المصريون ما ليس ببشري على أنه خارق للطبيعة البشرية وبخاصة عندما رأوا ذلك في الحيوان في حكمتها الصامتة وأعمالها العظيمة التي تقوم بها دون تردد وفوق كل ذلك حقيقتها الثابتة التي لا تتغير (٢) .

وهذه التعليلات قد تكون مقبولة بعض القبول – إلا أن هناك سبب آخر يتمثل في أن انحراف الإنسان عن السماء ووحيها يوقعه في كثير من الاضطرابات ويجعله مثار سخط من الناس .

وأميل إلى أن هذا هو ما حدث عند المصريين القدماء .

وينبغي أن ننوه إلى أن عبادة المصريين للحيوانات قد جرت عليهم اللعنات من غيرهم .. لقد اتهموا بأنهم " لم يقصروا شهواتهم على تقديس الجماد بل تخطوا ذلك ، واتخذوا معبودات لهم من الطيور ، والحيوانات ذوات الأربع ولم يخجلوا من عبادة الكــلاب النابحة ، والغنم ، وأبو منجل آكل الديدان والحدأة ، والثعابين ، وكانوا لا يكتفون بعبادتها وتقديم القربان لها وهي حية ، بل كانوا كذلك يعبدونها بعد مماتهـــا " (٣) .

والحق أنه ليس المصريين وحدهم الذين هبطوا إلى هذا المستوى مــــن

(١) الفلسفة الشرقية ٢٩ ، ٣٠ - والديانات القديمة ١٤ ، ١٥ – وتاريخ العالم [ ١ / ٦٧٣ ] والأثر الجليل لقدماء وادي النيل ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) مصر القديمة [ ١٦ / ٦٩٩ ، ٧٠٠ ] وانظر الفلسفة الشرقية ص ٢٥ – ٣٢ ، ومحاضرات في مقارنة الأديان ص ٤ – ٧ .

(٣) سليم حسن : مصر القديمة [ ١٦ / ٧٠٥ ] وقد كتب فصلاً كاملاً في الجزء السادس عشر عن عبادة الحيوان في مصر وأسبابها .

الانحطاط العقلي ، فإن الهنود في القرن العشرين مازالوا يعبدون البقر في البيت ويقدسونها ، وقد تتوقف حركة المواصلات على طريق من الطرق لمرور بقرة عليـــه . وهذا الانحطاط نتيجة طبيعية للانحراف عن الحق ، الذي جاء به رسل الله الكـــرام [١] .

---

[١] ومن عجيب الأمر – أن هناك اتجاهاً في مصر الآن يحاول إحياء النزعة الفرعونية ، في الملابس وفي تسريحات الشعر – وفي الأسماء مثل إطلاق الأسماء الفرعونية القديمة على بعض الميادين وبعض الشوارع – والعلامات التجارية – بل وعلى الأشخاص . يا سبحان الله – نعظم من لعنهم الله وانتقم منهم .

بل وصل الأمر إلى أبعد من ذلك – أن جعلت مصر شعارها في دورة الألعاب الإفريقية المقامة من ٢٠ سبتمبر إلى ١ أكتوبر سنة ١٩٩١ – أحد الآلهة الوثنية القديمة التي قدسها المصريون وعبدوها من دون الله – هذا الوثن هـــو " حورس " وهو صقر ارتفع عند المصريين إلى مرتبة ملك السماء صاحب العينين العظيمتين الشمس والقمر – وهذا الشعار يعني تعظيم ما حقر الله – أفبعد أن يمُن الله علينا بالإسلام ويخرجنا من الظلمات إلى النور نعود إلى الجاهلية الوثنية مرة أخرى .. ضاربين بعقيدة الأمة وتراثها عرض الحائط – ولا أدري ما الذي تجنيــه مصر بلد الأزهر الشريف أعرق جامعة في العالم .. من رفع شعار وثني على دورة ألعاب تكلفت الملايين ويشاهدها الملايين في أنحاء العالم ، وإن كنا نتمنى من قلوبنا أن ترصد تلك الأموال – لطباعة المصحف الشريف حتى نوزعه على المسلمين في العالم الإسلامي ، وهذا يعود على مصر بالخير الكثير في الدنيا والآخرة .

ومن عجيب الأمر أن نقرأ – اعجاباً من البعض بهذا العمل الحضاري ...

وإليك ما نشرته جريدة الأهرام القاهرية في عدد الجمعة ٢٧ / ٩ / ١٩٩١ : " قد وضعت مصر شعاراً للدورة الافريقية الخامسة التي تقام حالياً بالقاهرة رسماً لواجهة الهرم الأكبر تتوسطه قارة افريقيا ويحيط به غصن الرفعة والفخار وتحته رسم الدوائر الخمسة ثم جملة " الدورة الافريقية الخامسة للألعاب " باللغات العربية والانجليزية والفرنسية .. " " أما التميمة أو التعويذة التي اختارتها مصر لمنع الشر وصد الحسد – فكانت رسماً للإله الفرعوني حورس – ومعناه " الرفيع الشأن " وهو يماثل صقراً بارق العينين ثابت القدمين فارد الجناح وعلى صدره الدوائر الاليمبية وتحته القاهرة سنة ١٩٩١ " .

ولا ينسى الكاتب أن يزج بالإسلام وكتابه القرآن فيقول : " وفي ادفو تمثال لحورس على هيئة صقر متوج بارق العينين يحرس المكان والسكان من الشر والمحن والجنون والفاقة ، وفي القرآن الكريم سورة الفلق ( قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد ) .

ويورد الكاتب – سورة الناس ( قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ) . .. ويعلق قائلاً :

كتب الله للدورة الافريقية الخامسة التي تقام حالياً في القاهرة أن تلقى النجاح وأن تتوقى الشرور والأخطار . " جريدة الأهرام – اسبوعيات – يكتبها : سيد فرج " . =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= ولعلك معي أيها القارئ في الخلط الواضح من جانب الكاتب ، فهو يشيد بشعار الدورة المتمثل في التراث الفرعوني من الهرم إلى حورس .. وأقول لك يا سيدي أو عقمت مصر الإسلامية أن يخرج شعار منها يعبر عن دين الأمة وعقيدتها .. كان الأولى أن تضع مصر شعاراً إسلامياً تمشيا مع عقيدة معظم المشتركين في الدورة – وهم من إفريقيا التي يمثل المسلمون فيها أكثر من ٧٠ % من عدد السكان .

ثم – ما الذي أقحم سورة الفلق وسورة الناس فيما كتبه الكاتب ..

إنه يقول : إن حورس لرفع الشر ومنع الحسد – وكأنه يقول : إن القرآن يعترف بالشر والحسد – ومن ثم ، لا ضير أن يتقيه الأفراد والجماعات بأي وسيلة حتى ولو كانت وثنية .

ونقول له : نعم يعترف القرآن بالشر والحسد – ويضع العلاج لهما والحفظ منهما ولكن لا بالتمائم الوثنية التي تحدثت عنها والمتمثلة في " حورس " ولكن – في الاستعانة بالله من الشيطان الرجيم وبالاستعانة بما ورد عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم – في هذا الشأن ...

ألا ما أخرس الألسنة التي تلبس الحق بالباطل – والتي تجمع بين الوثنية والتوحيد في آن واحد ولكن ما زال في الأمة – رجالاً ينظرون إلى الأمور بنظرة إسلامية ولا يلبسون الحق بالباطل كما يفعل البعض الآخر .. لقد تصدى مفكر آخر لشعار الدورة حورس – وجاءت كلمته الآتية :

" كان الرمز الذي اختير لهذه المناسبة هو الهرم حورس وهي رموز فرعونية ولكن هل تعبر حقاً عن الذات القومية ؟ هل الذات القومية هي امتداد عصري لرؤية الإنسان المصري القديم للإله والكون ؟ أم أنه حدث انقطاع كامل في النظام العقيدي والثقافي والرمزي مع وصول العرب المسلمين وتوحيدهم المنطقة بأسرها تحت راياتهم . هل رؤية الإنسان المصري الحديثة للإله تجعله يتصوره على هيئة حورس ؟

إن الإنسان المصري الحديث لا ينظر للعالم من خلال لغة الفراعنة الرمزية ويمكننا أن نميز بين الماضي المتحفي نسبة إلى " المتحف " والماضي الحي – فالماضي المتحفي هو ماضي قد يكون جميلاً وفخماً ورائعاً ولكنه لا يوجد أي امتداد له في الحاضر – والماضي المصري القديم رغم جماله وثرائه هو من هذا الطراز . أما الماضي الحي فهو هذا الماضي الذي لا يزال يعيش معنا في ضمائرنا ووجداننا ولغتنا الفعلية والرمزية . وهذا الماضي بالنسبة لنا هو الماضي العربي الإسلامي " .

انظر جريدة الشعب – الثلاثاء ٢٤ / ٩ / ١٩٩١ – مقال – تحت عنوان رمز مصر في الدورة الافريقية للدكتور عبد الوهاب المسيري .

ونحن ننادي مع الدكتور المسيري بالعودة إلى تاريخنا الإسلامي الذي أحيا القيم الرائعة في السلوك والأخلاق – وحكم كل المظاهر الوثنية وأورد أصحابها – في معرض الهلكة والانتقام – وقدمهم نماذج للعبرة والعظة .

" سنة الله في الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا " سورة الأحزاب الآية رقم : ٦٢ .

## تقديس الأشجـــــــــار

من المظاهر الأرضية التي توجه إليها المصريون القدماء ، النباتات التي تخرج من الأرض ، ولكن عبادة النباتات كانت أقل من عبادة الحيوان .

ومن الأشجار التي قدسها المصريون النخلة والجميزة .

**يقول ديورانت** : " ومن الآلهة التي اتخذها المصريون بعض النباتات كالنخلة التي تظل الناس في قلب الصحراء " [١] .

وهنا نعود إلى أن المنفعة من شجرة معينة هي التي حدت بالمصريين إلى عبادتها ، وإن كان بعض الباحثين يذهب إلى أن عبادة النباتات قلما صادفت انتشاراً ، وحيوية لأن الحركة أعوزتها والحركة دليل الحياة الأول [٢] .

ولكن يرد على هذا بما ذكره " أدولف إرمان " : " أن شجرة الجميز لم تبطل عبادتها أبداً في منف وهي الجميزة الكائنة في جنوب " بتاح " ، وقد كانت الآلهة " حاتحور " – طبقاً لعقيدة قديمة تسكن في هذه الشجرة " [٣] .

ولم يقتصر الأمر على عبادة شجرة الجميز وحدها ، ولكن يظن كذلك أن آلهة أخرى كانت تستقر على بعض الأشجار الأخرى على حدود الصحراء ، وكانوا يأملون أن تعطي هذه الأشجار للموتى المدفونين هناك الماء والطعام ، وقد عرفت طبيعة إلهية في بعض أشجار معينة في المعبد [٤] .

---

(١) قصة الحضارة [ ٢ / ١٥٧ ] .
(٢) اليونان والشرق القديم [ ١ / ٨٧ ] .
(٣) ديانة مصر القديمة ص ١٧٤ بتصرف .
(٤) السابق ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

## النيل ومظاهر تقديسه عند المصريين القدمـــاء

يذهب " هنري براستد " إلى أن النيل يأتي في المرتبة الثانية عند المصريين الذين ألهوه فلقد نظروا إليه ، وإلى الأرض التي ينعشها والحياة النباتية التي يبعثها فيها كشيئ واحد .

وقد دعا المصريون النيل " أوزيريس " – حياة الأرض التي لا تفنى – وكانوا يعتقدون أن إله النيل ، هو مانح الحياة ، وكل ما يحتاج إليه الإنسان في العالم وهو الذي يعتني بالإنسان في العالم الثاني بعد أن يواري جثمانه (١) .

ويرى بعض الباحثين أن النيل لم يأخذ ما يستحقه من التقديس عند المصريين مثل الآلهة الأخرى إذ أن النيل قد تبوأ بين الآلهة منصب الخادم فصوروه على جدران المعابد بزي البحار أو صياد السمك على هيئة بشر نصفه أنثى والنصف الآخر ذكر – يقدم منتجاته إلى الآلهة الكبرى (٢) .

وقد تعدى نفع النيل الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى ، فقد تصوره الخيال المصري بأنه مأوى الشمس الذي تدخل فيه " كل مساء وتقضي به الليل لتخرج منه من الشرق كل صباح ، وفي العالم السفلي نهر تبحر فيه الشمس في قارب السماء التي هي سماء ثانية سفلية " (٣) .

بهذه الأوصاف كلها تصور المصريون النيل وألهوه وعبدوه مـــن دون الله عز وجـــل .

---

(١) العصور القديمة ص ٥٤ – جيمس هنري براستد – ترجمة داود قربان – مؤسسة عز الدين سنة ١٩٨٣ . وانظر قصة الحضارة [ ٢ / ١٥٥ ، ١٥٦ ] .
(٢) ديانة مصر القديمة ص ١٧ ، ١٨ .
(٣) قصة الديانات : سليمان مظهر ص ٦٢ .

والأكثر من هذا أنهم قدموا له القرابين البشرية استرضاء له لئلا يؤذيهم في فيضانـــه .

**ورد في قاموس الكتاب المقدس ما نصـــه :**

" واسم إله النيل في اللغة المصرية هو حع – بي – وكثيراً ما يشاهد الإله حع – بي في الآثار المصرية مصوراً في صورتين : صورة الإله على جانب ، وصورته الأخرى على الجانب الآخر بين الرسمين حبل يربطهما معاً إشارة إلى أن النيل هو الذي يربط مصر معاً .

وقد كرم المصريون الأقدمون النيل اعترافاً بقيمته لأنه هو الذي أنقذ بلادهم من أن تكون تتمة للصحراء الكبرى ، وجعلوه إلهاً وكانوا يقدمون له الذبائح في المناسبات والأعياد الخاصة به ، وكانوا يقدمون له في يوم وفائه ، أي في الاحتفال بفيضانه ، الذبائح لعله يرضى فلا يؤذيهم والكثير من تراث مصر القديمة أساطير وعادات متعلق بحياة النيل ومتأثر به " (١) .

وهذا يدل على مدى السفاهة التي وصل إليها المصريون القدماء فهم لم يكتفوا بتقديسه فقتلوا أولادهم استرضاءً له ، فخسروا الدنيا والآخرة ... ويبدو أن هذه العادة ظلت متوارثة إلى أن فتح المسلمون مصر – فقد أورد ابن كثير في البداية والنهاية تحت عنوان " قصة نيل مصر " ما نصه :

---

(١) **قاموس الكتاب المقدس ص ٩٩٠ .**

" روينا من طريق ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال : لما افتتحت مصر - أتى أهلها عمرو بن العاص - حين دخل بؤونه من أشهر العجم فقالوا : أيها الأمير - لنيلنا هذا سُنة لا يجري إلا بها . قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانت اثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا مما لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما قبله . قال : فأقاموا بؤونة وأبيب ومسري والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً ، حتى هموا بالجلاء ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أُصبت بالذي فعلت ، وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي فألقها في النيل .

فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها : " من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر : أما بعد فإن كنت تجري من قبلك ومن أمرك فلا تجر ، فلا حاجة لنا فيك ، وإن كنت إنما تجري بأمر الواحد القهار وهو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك " .

قال : فالقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم " (١) .

والوقت الذي ذكره ابن كثير كان على عهده وقد توفي سنة ٧٧٤هـ ، أما عندنا في مصر الآن فيحاول البعض أن يحيي العقائد الوثنية مرة أخرى .

---

(١) انظر : البداية والنهاية - المجلد الرابع ص ١٣٤ .

وقد أوردت جريدة الأهرام خبراً مفاده أن مسابقة ستجرى لاختيار ملكة جمال النيل ، وأن العروس الفائزة بلقب ملكة جمال النيل ستنطلق يوم ٢٤ أغسطس الجاري من أمام الميرديان إلى كوبري قصر النيل حيث تقفز العروس في النيــل [١] .

وقد نشر فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق مفتي مصر آنذاك بياناً تحت عنوان " أوقفوا اليوم فوراً هذا العبث باسم وفاء النيــل " [٢] .

---

[١] انظر : جريدة الأهرام ٦ / ٨ / ١٩٨١ .

[٢] جريدة الأهرام ٩ / ٨ / ١٩٨١ – انظر بالتفصيل نص الخبر في جريدة الأهرام وبيان فضيلة المفتي في كتاب القرابين البشرية للدكتور / فتحي الزغبي ص ٥٢ – ٥٤ .

## المبحث الثاني

## تأليه البشر

لقد أله المصريون بعض ملوكهم وقدموا لهم طقوس العبادة التي كانوا يقدمونها لسائر الآلهة التي عبدوها ، ومن أبرز الذين ألههم المصريون القدماء مينا ، وآمون .

### أولاً : مينا وتأليهه عند المصريين القدماء :

كانت هناك أسطورة مصرية قديمة هي أسطورة " إيزيس "،" وأزوريس " – تتلخص هذه الأسطورة في أن أزوريس كان ملكاً عادلاً محباً للسلام ، ولكن أخاه " ست " قتله حسداً منه وحقداً عليه – فحزنت الآلهة عليه ، وطفقت أخته إيزيس وكانت زوجته ، تبحث عنه كثيراً إلى أن عثرت عليه ، ووهبت له الآلهة حياة جديدة ، وأصبح ملكاً على الموت ، وولدت " إيزيس " " حورس " بعد موت أبيه وعكفت على تربيته إلى أن شب واستطاع أن يقاتل عمه وينتصر عليه ، ولقد وضع المصريون في أزوريس كل مظاهر الطبيعة فهو ماء النيل الذي يغمر الحقول بفيضه ، وهو الأرض الخصبة التي تنبت الزروع والثمار[١].واستمر النزاع بينهما فترة من الزمن – إلى أن قام أحد الفراعنة ، وهو الذي يسمى " مينا " وأعلن " أن الإلهين كليهما حلا في جسده ، وأن جسمه يشتمل على الجوهر الأساسي أو روح الإلهين معاً . وإنهما لهذا قد استخلفاه على ذلك العرش

---

[١] انظر مصر والشرق القديم ص ١٧١ وقصة الحضارة [ ٢ / ١٥٩ ، ١٦٠ ] والشرق واليونان القديم [ ١ / ٩١٤ ] .

الذي كان موضع نزاع بينهما ، وأنه يضع فوق رأسه تاج الوجهين : القبلي والبحري ويضمهما تحت إمرته لا يزيد عن كونه منفذاً لأمر الإلهين معا " [١] .

وتقبلت الرعية ذلك الأمر ، واعتُبِرَ " مينا " إلهاً ، وعُومل معاملة الإله ، فكان أفراد الرعية يضعون أنوفهم في موضع قدميه ليستنشقوا رائحتها ، ومن كان منهم مقرباً يسمح له بشم قدميه مباشرة ، واعتبر المصريون أن عرشه أقدس ما أشرقت عليه الشمس في الكـــون .

ويرى الأستاذ " **موريه** " أن المصريين كان لهم عيد يقيمونه في وقت معين وكانوا يعيدون فيه مراسم التتويج الملكي بقصد تجديد قوة الملك التي كانوا يخشون أن تقل كلما تعاقبت عليه السنون [٢] .

والذي يدرس ديانة مصر القديمة لا يستغرب على المصريين كل مظاهر التقديس والتبجيل لأحد ملوكهم الذي اعتبروه إلهاً ، وتفانوا في تقديسه إلى الحد الذي جعلهم يمقتون أي شخص لا يفتدي الملك وعرشه بكل ما لديه من عزيز ونفيس ، ويتمنوا أن يبيدوا ذلك الشخص من على الأرض [٣] .

فإذا كان المصريون قد فعلوا ذلك مع الحيوانات فلا يستبعد أن يفعلوا ذلك مع الإنســـــان .

---

**[١] الفلسفة الشرقية ص ٣٩ بتصرف .**
**[٢] انظر الفلسفة الشرقية ص ٤٠ ، ٤١ .**
**[٣] نفسه ص ٤١ وانظر تأليه مينا ص ٤١ - ٤٤ .**

## ثانياً : آمــون وتقديســـه :

من الذين توجه إليهم المصريون بالعبادة " آمون " ومعناه الاشتقاقي " السري " أو " الخفي " .

لقد كان آمون هو الإله العائلي للملوك الذين تعاقبوا على عهد الإمبراطوريتين الوسطى والحديثة ، وما لبث في أوائل الإمبراطورية الوسطى أن أصبح إله منطقة طيبة ثم أُشرك [١] " برع " ليكون معه " آمون رع " الذي استأثر بامتيازات الإله الشمس ، ولُقب بملك الآلهـــة .

لقد كان " آمون " يحتل مكانة مرموقة في طيبة التي تزعمت طرد الهكسوس من مصر وكان الاعتقاد عند المصريين أنه هو الذي يقود الجيوش المصرية إلى ميادين النصر ، وأنه صاحب الفضل في كل ما تحرزه البلاد من الانتصارات .

ونظراً للإنتصارات الكثيرة التي حققت بفضله فإن الأموال التي أتت من البلاد المنهزمة أقيم بها معابد ضخمة في طيبة للإله آمون " رع " رمزاً لتقديرهم للنصر الذي قادهم إليه ، وأقاموا في البلاد الأخرى هياكل جديدة ، حتى يُستطاع خدمة إله ملكهم في كل مكان [٢] الذي أصبح " آمون رع " وصار يتحكم في مصائر الدولة ، وشئونها [٣] ، ونظراً لهذه الهالة التي أضفيت على " آمون " فقد قدمت له الصلوات باعتبار أنه يمثل القوة والبقاء .

---

(١) اليونان والشرق القديم [ ١ / ٩٥ ] .
(٢) ديانة مصر القديمة ص ١٢١ وحضارتي مصر والشرق القديم ص ٢٠٤ .
(٣) الحياة في مصر في الدولة الوسطى . ايريك بيت – مقال ضمن تاريخ العالم [ ١ / ٥٧٣ ] الناشر مكتبة مصر .

ولقد عثر الباحثون على إحدى صيغ الصلوات التي قدمت له حوالي ١٤١٢ ق . م وفيها :

المجـــد لآمـــون .

وأثنـــى عليـــه .

إلى أعلى عليين .

وإلى عرض الأرض .

أنت يا آمون إله السكون .

أنت آمون رع إله طيبـــة .

الذي ينقذ من هو في شمال العالم [١] .

لقد تصوروا أنه خالق الأرباب ، وواهب الحياة لكل كائن حي ، وهناك نصوص دينية وردت عن قدماء المصريين حول هذه المعاني [٢] .

---

(١) في العقائد والأديان ص ٥١ – ٥٣ للدكتور / جابر عبد العال الحيني – الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧١ .

(٢) نفسه ص ٥٥ ، ٥٦ – وانظر الأثر الجليل لقدماء وادي النيل ص ١٣٥ – أحمد نجيب – الطبعة الثانية – بولاق سنة ١٨٩٨ .

## المبحث الثالث

## التوحيد والبعث عند المصريين

### إخناتون وتوحيده :

جلس " امنحوتب " الشاب على عرش آبائه ، وكان يؤمن بإله واحد هو الإله الشمس ، وأُرسل في كل أرجاء مملكته أنه لا يجوز تقديم عبادة ما إلا للشمس الذي سماه " آتون " وأقفل الهياكل ، وطرد كهنتها ، وطمس أسماء الآلهة التي على جدران المعابد وسمى نفسه " إخناتون " أي ابن الشمس . وترك طيبة لاحتوائها على آلهة كثيرة ، وبنى مدينة جديدة .

ومازالت الأغاني التي نظمها الملك الشاب في مديح إله الشمس – تظهر تقديس ، وإيمان الملك الشاب بالإله الوحيد . وقد توصل هذا الملك إلى الاعتقاد بأن إلهاً واحداً خلق جميع المخلوقات العاقلة وغير العاقلة [١] .

ويذهب بعض الباحثين إلى أنه نجح في دعوته وأتاح الفرصة للديانة الجديدة أن تستكمل خصائصها دون أن تعوقها التقاليد ، والآثار القديمة [٢] .

بينما يذهب البعض الآخر إلى أنه فشل في دعوته ولقيت مصيرها المحتوم ، بالعودة إلى عبادة " آمون " [٣] .

---

[١] انظر : العصور القديمة ص ٩٩ – ١٠٠ ، تاريخ العالم ويلز [ ١ / ٢١٧ ، ٢١٨ ] .
[٢] انظر حضارة مصر والشرق القديم ص ٢٠٦ – ٢٠٩ .
[٣] في العقائد والأديان ص ٦٦ .

والذي يهمنا سواء أنجح إخناتون في دعوته أم فشل هو أن التوحيد الذي نادى به ليس هو التوحيد المتعارف عليه عند المسلمين ، وإنما هو توحيد المعبودات الوثنية في معبود وثني فقط ألا وهو الشمس ، فهو انتقال من كثرة وثنية إلى ثنائية وثنية ، تمثلت في الشمس وفي امنحوتب ذاته الذي اعتبر نفسه ابناً للشمس .

**يقول الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني :**

" ويرى الباحث في جلاء أن صورة الإله في ذهن إخناتون لم تصل إلى التجريد المطلق – بل ظلت هذه الصورة ملاصقة ، أو على الأصح مرتبطة بصورة هذا الكوكب السماوي الشمس . ولذلك فإنه ظل وثنياً يبني الهياكل والمعابد له – ويجهد نفسه في تزيينها وفي إيجاد ما يرمز إلى هذا الإله ، وتقام الصلوات على صورة وثنية له " (١) .

ونحن من جانبنا نؤكد أنه لا توحيد صحيح إلا الذي جاء به رسل الله ، وأن الإنسان لا يرتقي من الوثنية إلى التوحيد ، بل على العكس ينحرف عن التوحيد إلى الوثنية ، كما فعل المصريون وغيرهم من أرباب الديانات الوضعية .

---

(١) في العقائد والأديان ص ٦٧ بتصرف .

**البعث ومظاهره عند المصريين :**

لقد كانت عقيدة الخلود والبعث بعد الموت تحتل مكاناً كبيراً عند المصريين إذ أنه لا يكاد يخلو مصدر تاريخي ، عن المصريين القدماء إلا وفكرة الخلود والحياة بعد الموت تحتل مكان الصدارة فيه .

**يقول " هيرودوت " :**

" إن المصريين هم أول الشعوب الذين اعتقدوا بخلود النفس " [١] .

ويعلق صاحب كتاب الأدب والدين على عبارة هيرودوت بقوله :

" وعبارة هيرودوت تشرحها الأعمال الدينية التي قام بها المصريون استعداداً ليوم الحساب ، فلقد كانوا يعتقدون بخلود النفس بعد الموت ، وورد في النصوص المنقوشة على الأهرام والتي يرجع تاريخها إلى الأُسَرِ الأولى أن النفس خالدة لا تموت أبداً ، وفي كتاب الموتى أن الميت يقول : أنا لا أموت مرة ثانية في العالم الثاني " [٢] .

ونحن مع " هيرودوت " في أن الخلود والحياة بعد الموت احتلا مكان الصدارة عند المصريين ، ولكن لسنا معه في أنهم أول الشعوب الذي اعتقدوا في الحياة بعد الموت لأمريـــــن :

---

(١) نقلاً عن الأدب والدين عند قدماء المصريين ص ١٠١ – أنطون ذكري أمين المتحف المصري .

(٢) نفسه ص ١٠٧

**الأول** : أن المصريين ليسوا هم أول الشعوب التي وجدت على ظهر الأرض ، اللهم إلا إذا كانوا أول الشعوب التي درسها .

**الثاني** : أنه ما من أمة إلا وأرسل الله فيها نذيراً يدعوهم إلى الله تعالى وعلى رأس ما يدعوهم إليه الإيمان بالله ووحدانيته – واليوم الآخر – ولاشك أن هناك أمماً كثيرة قبل المصريين .. نعم .. إن أهم ما يميز المصريين هو اهتمامهم بمصير الإنسان بعد الموت .

يقول أودلف إرمان :

" لئن كان الشعب المصري يختلف في شيئ عن غيره من الشعوب فإنما ذلك في العناية التي كان يوجهها إلى موتاه " (١) .

وإن تغلغل عقيدة الخلود في نفوس المصريين هو ما يفسر لنا سر اهتمامهم بكل ما من شأنه أن يخلد ذكراهم أو يساعد في حفظ أجسادهم للحياة الآخرة . ولقد وردت عن المصريين القدماء تصورات عن الحساب والميزان والجنة والنار ، وإن كانت جميعها لا تخلو من صورة وثنية .

وفي تصورنا أن عقيدة الآخرة عند المصريين مردها إلى إرسال الرسل الذين نعلم يقيناً أن يوسف عليه السلام من الأنبياء الذين دعوا المصريين إلى الله وكذلك موسى ، ومن قبلهما إبراهيم عليه السلام ، ولم يكن الأمر كما زعم علماء الأديان المقارنة أن تصور الآخرة جاء إلى العقيدة متأخراً ، ولكنه كان عنصراً أصيلاً في الرسالات السماوية الصحيحة " (٢) .

---

(١) ديانة مصر القديمة ص ٢٣٢ .

(٢) في ظلال القرآن [ ٤ / ١٩٨٨ ] الطبعة الثامنة ، وانظر الفلسفة الشرقية ص ٥٨ ، وانظر قصة الحضارة [ ١٦٢/٢ ] ، الديانات القديمة ص ١٧ – ١٩ ، ومحاضرات في مقارنة الأديان ص ٢٣ ، ٢٤ ، الأدب والدين عند قدماء المصريين ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

## تعقيب على ديانة مصر القديمة

**أولاً** : اتضح لنا مدى إسراف قدماء المصريين في المعبودات الوثنية . ونلاحظ مدى الرغبة أو الرهبة التي كانت تسيطر عليهم في توجههم لتلك المعبودات . فعلى سبيل المثال ، عبدوا مظاهر الطبيعة من شمس وقمر وكواكب نظراً لما ظنوه من أن أمور حياتهم ترتبط بتلك المظاهر ، ولعل تقديسهم للنيل كان من أجل هذا . وهنا ينبغي أن نقرر أن المصريين كغيرهم من المشركين نعى الله عز وجل عليهم توجههم إلى تلك المظاهر التي لا تضر ولا تنفـــع .

يقول سبحانه ( **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند اللـــه** ) [١] .

ويقول عز وجل ( **أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون** ) [٢] .

ويقول تعالى ( **ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون** ) [٣] .

هذه الآيات يقرر فيها الحق سبحانه وتعالى أن المعبودات التي اتخذها المشركون على اختلاف ألسنتهم وأوطانهم وأزمانهم – هذه المعبودات من خلق الله – وهي لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً ، فكيف تملك لغيرها ؟ ثم إن هذه المخلوقات مسخرة بأمر الله للإنسان وأحرى به أن يتوجه إلى خالقها ومسخرها .

---

[١] سورة يونس الآية : ١٨ .
[٢] سورة الزمر الآية : ٤٣ .
[٣] سورة فصلت الآية : ٣٧ .

يقول تعالى ( **إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ) [١] .

وفي وصفها بأنها مسخرات مذللات تابعات لتصرفه سبحانه وتعالى فيهن بما يشاء فيه دلالة على أنها لا تأثير لها بنفسها في شيئ أصلاً . ولذلك قال : " ألا له الخلق والأمر " أي هو الذي يدبرها ويصرفها على حسب إرادته [٢] .

وقد عرض القرآن الكريم على لسان سيدنا يوسف عليه السلام إبطاله ودحضه لمعبودات المصريين ، يقول تعالى ( **يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خيرٌ أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه إلا أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه . ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ) [٣] .

وهذا النداء من سيدنا يوسف عليه السلام يخاطب الفطرة في أعماقها ويهزها هزاً عنيفاً ، وذلك لأن الفطرة السوية لا تعرف لها إلا إلهاً واحداً . فلم إذن التعدد والتفرق . خاصة وأن هذا التفرق يتوزع مظاهر لا تملك نفعاً ولا ضراً لنفسها فضلاً عن غيرها . وهذا الخطاب من يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن ولكل من دان بدينهما من أهل مصر .

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٥٤ .
(٢) روح المعاني للألوسي [ ٨ / ١٣٨ ] .
(٣) سورة يوسف الآيـة : ٤٠ .

وتأتي الحقيقة التي أعلنها يوسف عليه السلام والتي تتمثل في خلو الأرباب المتفرقة عن الحقائق **( إن هي إلا أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان )** [١] .

والمعنى أنكم سميتم ما لا يستحق الألوهية . بالآلهة ثم طفقتم تعبدونها . فكأنكم لا تعبدون إلا أسماءً فارغة لا مسميات تحتها ، وليس لكم حجة ولا سلطان في تلك التسمية [٢] . وإن دعوة سيدنا يوسف إلى التوحيد في ذلك الوقت المبكر من التاريخ ليدحض شبهة من قال إن التوحيد ترقى إليه المصريون عن طريق عقولهم وهذا خطأ علمي وديني [٣] .

ثانياً : أما عن تأليه النيل ، وتأليه البشر . فإن المخلوق لا يصح أن يكون خالقاً ، والمُسَخَّرَ . لا ينبغي أن يعبد أو يؤله . وحين ينحرف الإنسان عن هدي الله القويم . ويطمس معالم فطرته الحق . فإن الرد عليه يكون بلفت نظره إلى عجز من ألهه واحتياجه إلى الغير . ولذلك كان التوفيق حليفاً لأمير المؤمنين عمـــر بن الخطاب حين بلغه عادة المصريين القدماء بإلقاء الفتاة في النيل قرباناً له ليفيض . كانت الثقة في الله والنظر إلى النيل النظـــرة التي ينبغي للبشر أن ينظروها . فهو مسخر ومذلل ولا يفيض ولا يجري بأمر نفسه وإنما بأمر الله . ولذلك كتب " من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر : أما بعد . فإن كنت تجري من قبلك ، ومن أمرك فلا تجر ، ولا حاجة لنا فيك ، وإن كنت إنما تجري

---

(١) سورة يوسف الآية : ٤٠ .

(٢) انظر بتصرف : الكشاف للزمخشري [ ٢ / ٣٢١ ] وانظر ظلال القرآن [ ٤ / ٨٩، ٩٩٠ ]

(٣) انظر : دراستنا نشأة الدين والتدين بين التوحيد والتطور ففيه مناقشة وافية لهذه القضية . وقد انتصرنا فيها للقول بأن الإنسان بدأ موحداً ثم انحرف عن التوحيد إلى الوثنية ، والمصريون من الذين انحرفوا عن التوحيد إلى التعدد .

بأمر الله الواحد القهار وهو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك " [١]
وبالفعل جرى النيل بأمر اللـــه .

أما تأليه البشر فهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على أن الشيطان زيَّن للمصريين الذين ألهوا البشر أو صدقوا البشر في دعواهم الربوبية وهم والذين ادعو له الألوهــية . كانوا فاسقين خفيفي العقول .

ويعبر القرآن الكريم عن هذا في قوله عن فرعون وقومه ( **فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين** ) [٢] والمعنى أنه طلب منهم الخفة في الإتيان بما كان يأمرهم به فأطاعوه لأنهم كانوا فاسقين [٣] . ولما حدث منهم ما يوجب غضب الله . انتقم منهم فأهلكهم فما استطاعوا أن يدفعوا بأس الله عنهم وهم كما قال الله تعالى ( **فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيئ لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب** ) [٤] .

وهذه الآية وغيرها الكثير . تبطل أي ادعاء لألوهية أحد من جهة وتبطل تعلق أي أحد من البشر بغير الله ... وما حدث لفرعون وغيره من الهالكين خير شاهد على ما نقول . فحين أدركه الغرق لم يغن عنه ما كان يدعيه زوراً وبهتاناً من الألوهــية ، وما كان يفتخر به على موسى والمؤمنين . من ملكه لمصر وما فيها من أنهار وجنـــات .

---

(١)
(٢) **سورة الزخرف الآية : ٥٤ – ٥٦ .**
(٣) **تفسير الرازي [ ١٤ / ٢٢٠ ] .**
(٤) **سورة هود الآية : ١٠١ .**

**ثالثاً** : إن التوحيد الذي زعمه " إخناتون " لم يكن من التوحيد الحق في شيء لأن " إخناتون " ومن نحا نحوه لم يستطيعوا أن يجردوا هذا التوحيد من الجوانب الحسية . لأن الذي حدث هو أن المعبودات الكثيرة الوثنية تمثلت في معبود وثني ألا وهو الشمس . فهو انتقال من كثرة وثنية إلى ثنائية وثنية تمثلت في الشمس ، وفي " امنحوتب " نفسه الذي اعتبر نفسه ابناً للشمس ، وظهرت المادية متداخلة في توحيد " إخناتون " في اعتقاد بنوة الملك " إخناتون " للإله ، وتجسد الإله في قرص الشمس ، وانحصار عبادة المصريين في هذا القرص [١]

ومن ثم فإن التعبير الحق . نأخذه من القرآن الكريم على لسان سيدنا يوسف عليه السلام في قوله تعالى **( إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله )** [٢] الإيمان الحق بالتوحيد الخالص عن شائبة الشرك . ولذلك ذكر نموذجاً للتوحيد الخالص . وهو ما كان عليه يوسف وآباؤه من قبل يقول تعالى على لسان سيدنا يوسف **( واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون )** [٣] .

فالتوحيد الخالص هو ما جاء به الأنبياء وطالبوا الناس به نظراً لأن في فطرهم أصوله وجذوره وفي الكون من حولهم موحياته ودلائله . ولذلك فإنه لا توحيد خالص عند أحد إلا عند أتباع الأنبياء الذين لم يحرفوا ولم يبدلوا وأي محاولة نحو التوحيد يجب أن تستند إلى الوحي ، لا إلى شيئ آخـــر .

---

[١] انظر جذور الفكر المادي ص ١١٣ ـ ١١٤ للدكتور عبد المعطي بيومي . دار الطباعة المحمدية .
[٢] سورة يوسف الآية : ٣٧ .
[٣] سورة يوسف الآية : ٣٨ .

**رابعاً** : أن البعث عنصر أصيل في رسالات الأنبياء مع دعوتهم إلى التوحيد وأن ما كان عند المصريين هو من بقايا الوحي وليس من إبداع العقل كما يزعم البعض ، وإن ما تصوره المصريون القدماء عن البعث والحساب بعد الموت . هو مزيج من الفكر البشري مع بقايا الوحي ...

أما ما ورد عن القرآن الكريم عن المصريين وإنكارهم للآخرة في قوله تعالى ( **إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون** ) [١] .

وما حكاه القرآن الكريم عن موسى عليه السلام في قوله تعالى ( **وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب** ) [٢] .

فيبدو أن هذا كان اتجاهاً لدى البعض ، وإن كان هناك اتجاهاً آخر يؤمن بالبعث والجزاء . وأصحاب هذا الاتجاه عرفوا البعث والحساب عن طريق أنبياء الله الذين نعلم منهم يقيناً إبراهيم عليه السلام ، ويعقوب ، ويوسف ، والأسباط وموسى ، وهارون وغيرهم من الأنبياء لا يعلمهم إلا الله . ثم بتقادم الزمن اختلطت بقايا الوحي الصحيح ببعض الأوشاب الوثنية التي ظهرت فيما بعد في تحنيط الجسد ، وبعض الكنوز ، والطعام والشراب التي كانت توضع مع الموتى عند قدماء المصريين على حسب مكانتهم الاجتمـــاعية .

**خامساً** : يبدو أن التقدم الحضاري والرقي المادي الذي وُجد عند المصريين القدماء قد أورثهم نوعاً من الكبر والصدود عن هدي الله سبحانه وتعالى . شأنهم شأن المترفين في كل زمان ومكـــان .

---

[١] سورة يوسف الآية : ٣٧ .
[٢] سورة غافر الآية : ٢٧ .

يقول تعالى ( **ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عـــذاب** ) [١] .

في هذه الآيات عرض لحال ثلاث جماعات من الكفار وما تنعموا به من سبل الحضارة والبنيان . ولكن كان التقدم المادي ، والترف الحضاري مع استحبابهم العمى على الهدى عوامل متداخلة لصدهم عن صراط الله المستقيم ، ولذلك كان الجزاء . وهو مجمل في سورة الفجر " **فصب عليهم ربك سوط عـــذاب** " ، ومفصل لهذه الفرق الثلاث في سورة **الحاقـــة** [٢] .

ولعل ما يشاهد الآن في العالم المعاصر خاصة الدول التي بلغت شأواً متقدماً في الحضارة المادية قد أورثهم كما أورث غيرهم . هذا الكبر والصدود والإعراض عن الله وهديه . ( **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هـــم غافلون** ) [٣] .

وسنة الله لا تتبدل ولا تتغير في السابقين ، والحاضرين ، واللاحقين . يقول سبحانه ( **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيئ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالميـــن** ) [٤] .

---

[١] سورة الفجر الآيات : ٦ – ١٣ .
[٢] انظر الآيات : ٥ – ١٠ من سورة الحاقة .
[٣] سورة الروم الآية : ٧ .
[٤] سورة الأنعام الآية : ٤٤ – ٤٥ .

# الفصل الثاني

## الديانـة الفارسـيـة

توطئـــة :

### عقيدة أهل فارس قبل الوثنية

كما هي القاعدة والأصل أن الناس فُطِروا على التوحيد ، وأرسل الله تعالى الرسل إلى الناس مبشرين ومنذرين يذكرونهم بتوحيد الله وعبادته وحده ، والفرس كأمة مثل بقية الأمم ينطبق عليها قوله تعالى **( ولقد أرسلنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغـوت )** [١] . وقوله تعالى ( **إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ) [٢] .

وقد ذكر غير واحد من المؤرخين وأصحاب المقالات أن أمة الفرس قبل أن تنحرف إلى الوثنية كانت على التوحيد .

يذكر صاعد الأندلسي : " أن الفرس كانت موحدة على دين نوح عليه السلام إلى أن أتى " بوداست " المشرقي إلى " طهمورت " ثالث ملوك الفرس بمذهب الصابئة فقبله منه ، وقسر الفرس على التشريع به فاعتقدوه نحواً من ألف سنة إلى أن تمجسوا جميعا " [٣] . هذا النص أصل في أن أهل فارس كانوا علىالتوحيد ثم انحرفوا إلى الوثنية المتمثلة في عبادة الكواكب ثم صاروا إلى المجوسية .

---

[١] سورة النحل الآية : ٣٦ .
[٢] سورة فاطر الآية : ٢٤ .
[٣] طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص ٦٤ بيروت سنة ١٩٨٥ م .

و "الشهرستاني" يمدنا هو الآخر بمعلومات تفيد " أن أهل فارس كانوا على ملة إبراهيم عليه السلام . يُذكر أن ملوك العجم كلها على ملة إبراهيم عليه السلام وجميع من كان في زمان كل واحد منهم من الرعايا في البلاد على أديان ملوكهم " [١] .

وإذا تأملنا ما ذكره صاحب طبقات الأمم مع ما ذكره الشهرستاني نستنتج أن الفرس دانوا بالتوحيد الذي جاء به نوح عليه السلام ثم بتطاول العهد نسوه ثم ذُكِّروا به من خلال دعوة إبراهيم عليه السلام الذي كان لدعوته من القوة والشوكة والملك والسيف ما لم يتوفر لغيرها على نحو ما ذهب الشهرستاني [٢] .

والذي يظهر أن دعوة إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء قد تركت أثراً كبيراً على الفرس حتى بعد انحرافهم عن التوحيد إلى الوثنية وكانت تظهر بعض المظاهر التي تبين مدى تغلغل دعوة الخليل فيهم حتى أنهم يذكرون أنهم يعبدون النار لأنها ما أحرقت إبراهيم [٣].

و" المسعودي " ينقل لنا أن بعض أبناء الفرس بعد التسعين والمائتين افتخر بجده إسحاق بن إبراهيم الخليل على ولد إسماعيل [٤] .

ودلالة هذا أن إبراهيم عليه السلام كان معروفاً في التراث الفارسي حتى بعد الانحراف عن التوحيد إلى الوثنية .

---

[١] الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٣١ .
[٢] نفسه .
[٣] الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٥٦ .
[٤] مروج الذهب للمسعودي [ ١ / ٢٦٤ ] .

وننتهي إلى أن أهل فارس عرفوا التوحيد الخالص عن طريق نوح عليه السلام وإبراهيم الخليل كما ثبت في التاريخ على نحو ما أسلفنا ، هذا عن الأنبياء الذين نعرف خبرهم ، وعرفوا التوحيد أيضاً عن طريق أنبياء آخرين لم نعرف خبرهم وبعد تطاول العهد على دعوات الأنبياء انحرف أهل فارس إلى الوثنية إلا أنها كانت تختلط ببقايا التوحيد كما سنجد عند " زرادشت " على سبيل المثال .

ويمكننا بعد هذا أن نقسم **العقائد** في بلاد الفرس إلى **العقائد** قبـل " زرادشت " **[ المجوسية الأصلية ]** ثم **العقائد** في عهد " زرادشت " ، ثم العقائد بعد " زرادشت " **[ الثنوية أو المجوسية اللاحقـة ]** .

ونعني بها : على الترتيب والتحقيق تبعاً للنشأة التاريخية .

**أولاً : المرقيونيـة .**

ثانياً : **الديصانية** .

ثالثاً : **المانويـة** .

رابعاً : **المزدكية** .

## بين المجوسية والثنـــوية

يفرق العلماء بين المجوسية ، والثنوية ، ومرد التفريق إلى الأصلين اللذين يعتقد فيهما أهل فارس – وهما النور والظلمة – فالمجوس يرون أن النور قديم والظلمة حادثة . أما الثنوية فيرون أن النور والظلمة قديمان . على اضطراب واضح في فهمهم للقدم والحدوث ، ونظراً للاختلاط الواضح بين المجوس والثنوية لزم أن نتحدث عن هذين المصطلحين بكلمة موجزة عن كل منهمـــا .

### أولاً : المجوســـية :

ورد في لسان العرب " مجس ، والمجوسية نحلة ، والمجوسي ، منسوب إليها والجمع المجوس ، وفي الحديث القدرية مجوس هذه الأمة . قيل إنما جعلهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم المجوسي في قولهم بالأصلين النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمـــة "(١) .

ويذهب الفيروزابادي إلى أن " مجوس كصبور رجل صغير الأذنين وضع ديناً ودعا اليه معرب منْتج كُوش : رجل مجوسيّ . كيهودي ، ومجسه تمجيساً صيره مجوسياً فتمجس ، والنحلة : المجوسية "(٢) .

أما المعجم الوسيط فيذكر عن المجوس أنهم : " كانوا يعبدون الشمـــس

---

(١) لسان العرب لابن منظور [ ٦ / ٢١٣، ٢١٥ ] دار صادر بيروت سنة ١٩٥٦ م .
(٢) ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير [ ٤ / ٢٠٥ ] طبعة عيسى الحلبي .

والقمر والنار وأطلق عليهم هذا اللقب منذ القرن الثالث للميلاد " [١] .

## ثانياً : الثنـــوية :

هم الذين يقولون بأن النور والظلمة أزليان قديمان يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد [٢] .

### الفرق بين المجوس والثنوية :

يفرق الشهرستاني بين المجوس الأصلية وبين المجوس اللاحقين ، الذين يُسموا بالثنوية . فيذكر أن المجوس الأصلية زعموا أن الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين بل النور أزلي ، والظلمة محدثة [٣] . وعلى هذا التفريق المتكلمين وأصحاب المقالات .

فابن النديم في الفهرست يذكر عن " المزدكية " أنهم ثنوية وكانوا في الأصل مجوساً [٤] . ونفس التفرقة نجدها عند الإمام الجويني في الشامل حيث يذكر : أن الثنوية قالوا بقدم النور والظلمة ، وأن المجوس يقولون بقدم النور وحدوث الظـــلام [٥] .

---

[١] المعجم الوسيط [ ٢ / ٨٥٥ ] وانظر دائرة معارف القرن العشرين [ ٢ / ٧٧٠ ] .
[٢] الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٣٣ ، ٢٤٥ .
[٣] نفســه ص ٢٣٣ .
[٤] الفهرست لابن النديم ص ٤١٥ .
[٥] الشامل في أصول الدين ص ١١٨ لإمام الحرمين الجويني . نشر دار العرب . وانظر هامش الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٧١ .

وقد سار معظم من كتبوا عن العقائد الفارسية على هذه التفرقة . ورد في دائرة المعارف الإسلامية " الثنوية هي القول بأن النور والظلمة أصلان خالقان ومتساويان في الأزلية ، وليس في الإسلام فرقة أو مذهب ثنوي بالمعنى الصحيح والثنوية من حيث هي اصطلاح على مذهب خاص من مذاهب التفكير مقصورة على ثلاثة من غير المسلمين وأشياعهم وهم ابن ديصان ، وماني ، ومزدك " (١)

ولا أدري من أين أتى كاتب مادة الثنوية في دائرة المعارف بهذا الحصر في هؤلاء الثلاثة . لأن أصحاب المقالات (٢) ذكروا من الثنوية المرقونية ، والباطنية ، وغيرهما ممن تأثروا بالثنوية (٣) .

ونخلص إلى أن المجوس الأصليين يقولون بقدم النور وحدوث الظلام . أما الثنوية فإنهم يذهبون إلى القول بقدمهما معاً . وقد وقع المجوس الأصليون في مأزق إزاء قولهم بحدوث الظلام من النور على اعتبار أن النور خيرٌ محض لا يتصور صدور الظلام عنه ، ومن ثَمَّ اختلفوا فالبعض فسر حدوث الظلام من فكرة رديئة طرأت للنور الأزلي ، والبعض الآخر ذهب إلى أن الظلام جاء من شك عرض للنور وسوف نعرض كل فرقة من هذه الفرق ، ونبيّن الخبط العشواء الذي وقعوا فيه .

أما الثنوية فإن المأزق الذي وقعوا فيه من قولهم بأزلية النور والظلام ، لا يقل اضطراباً عما وقع فيه المجوس المتقدمين لأن امتزاج النور والظلام وكيفية حدوثه من المسائل الشائكة التي جعلت الثنوية يضطربون إضافة إلى اضطرابهم في الشرك الذي اعتقدوه (٤) .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية [ ٦ / ٢١١ ] .
(٢) انظر اعتقادات فرق المسلمين للرازي ص ١٣٨ – ١٤١ وانظر الفهرست لابن النديم ص ٢٥٣ .
(٣) انظر تعليق الدكتور محمد يوسف موسى على كلام كاتب مادة الثنوية في دائرة المعارف [ ٦ / ٢١٦ ] .
(٤) انظر عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام الكتاب الثاني ص ١٨١ / ١٨٢ .

## المبحـــث الأول

## عقائد الفرس قبل زرادشت { المجوسية الأصلية }

الفرس تُعد من أكبر الأمم وأقدمهم ، وأشدهم قوة وآثاراً في الأرض وكانت لهم دولتان عظيمتان الأولى الكينية ، والثانية الساسانية الكسروية [١] .

ويحدد بعض المؤرخين مدة ملكهم من " كيومرث " أبيهم إلى الملك " يزدجرد " أيام " عثمان " أربعة آلاف سنة ومائتان وإحدى وثمانون سنة وسوف نتحدث عن أهم معتقداتهم من خلال ما سطره المؤرخون وأصحاب كتب الملل والنحـــل .

**أولاً : الكيومرثية :**

يعتقد الفرس في " كيومرث " ويقولون بأنه أصلهم وأول ملوكهم ، وقد اختلفوا في شأنه فزعم بعضهم أنه ابن آدم والأكبر من ولده ، ومنهم من زعم أنه أصل النسل ولهم فيه كلام مما يفحش إيراده وما كان من خبره مع إبليس وإذا كان الفرس بعامة يعظمونه ويختلفون حوله ، فإن الكيومرثية يقولون : كيومرث هو آدم عليه السلام ويخالفهم سائر أصحاب التواريخ [٢] .

ويزعم " الكيومرثية " أن المبدأ الأول من الأشخاص هو" كيومرث " وربما يقولون " زروان " الكبير [٣] . وقد أثبتوا أصلين : " يزدان " " وأهرمن " وقالوا " يزدان " أزلي قديم " وأهرمن " محدث مخلوق ، ولكن هل حدثت الظلمة

---

[١] تاريخ ابن خلدون [ ٢ / ٣٠٨ ] .
[٢] انظر مروج الذهب للمسعودي [ ١ / ٢٤٥ ، ٢٤٣ ] وانظر الملل والنحل ص ٢٣٤ .
[٣] الملل والنحل ص ٢٣٤ .

النور ؟ والنور لا يحدث شراً جزئياً فكيف يحدث أصل الشر ؟ أمِنْ شيئ آخر ؟ ولا شيئ يشرك النور في الإحداث والقدم على زعمهم ؟ وكما يقول " الشهرستاني " وبهذا يظهر خبط المجــوس [١] .

هذا الخبط الذي رصده " الشهرستاني " ونحن معه ، يقول عنه الدكتور النشار : إنه علاج بديع يقول " تعالج الكيومرثية المسألة علاجاً بديعاً فتقول إن الظلام وهو الفكرة الرديئة فكرة الشر حدثت في النور حين فكر يزدان في نفسه أنه لو كان لي منازع كيف يكون ؟ وهذه الفكرة الرديئة غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام وقتئذ في هذه الفكرة ، وهذه الفكرة أو هذا الظلام انفصل من عالم النور وسمى نفسه أهرمن " [٢] . وقد حدث صراع بين عسكر النور وعسكر الظلام .

ويواصل الكيومرثية خبطهم فيزعمون أن الملائكة توسطوا فصالحوا على أن يكون العالم السفلي خالصاً لأهرمن سبعة آلاف سنة ثم يخلي العالم ويسلمه إلى النور . والذين كانوا في الدنيا قبل الصلح أبادهم وأهلكهم ثم بدأ برجل يقال له " كيومرث " وحيوان يقال له ثور فقتلهما فنبت من مسقط ذلك الرجل " ريباس " وخرج من أصل " ريباس " رجل يُسمى " ميشه " وامرأة تسمى " ميشانة " وهما أبو البشر ونبت من مسقط الثور الأنعام وسائر الحيوانات [٣] .

وهذه الأساطير تفسر لنا التقديس والتعظيم والغلو من جانب الفرس القدامى " لكيومرث " حيث اعتبروه المبدأ الأول وأنه آدم ، ومبدأ النسل وأنـــــه

---

(١) **الملل والنحل ص ٢٣٤ ، وانظر الوحدانية ص ٥٢ ، ٥٣ د/ بركات دويدار .**
(٢) **انظر : نشأة الفكر الفلسفي [ ١ / ١٩٠ ] والملل والنحل للشهرستاني ص ٢٣٥ .**
(٣) **الملل والنحل ص ٢٣٥ .**

أول ملك نصب في الأرض وأن نسبهم يرجع إليه ، ويزعمون أنه عاش ألف سنة [١] .

وهذه الأساطير ترينا إلى أي حد كان أهل الفرس يضعون الثور في منزلة خاصة عندهم فقد زعموا أنه مات ثم بُعث حياً ووهب الجنس البشري دمه شراباً ليسبغ عليه نعمة الخلـــود [٢] .

[١] تاريخ ابن خلدون [ ٢ / ٣١٠ ] .
[٢] انظر : الفلسفة الشرقية : د / غلاب ص ١٨٣ .

**ثانياً : الزروانيـــة :**

من الأسماء التي عظمها أهل الفرس القدماء " زروان " الّذي معناه الزمان اللامتناهي أو إله العالم الأزلي أو هو القضاء والقدر [١] . وقد نظر إليه أتباعه أنه هو مبدأ الخليقة على اختلاف بين الفرس هل " كيومرث " أو " زروان" ويذكر الدكتور النشار أن أتباع الزروانية عاصروا النبي سليمان بن داود وأنها قاومته مقاومة شديدة [٢] .

وتدور أساطيرهم حول فكرة الخير والشر ، والنور والظلام ، فيزعمون أن النور أبدع أشخاصاً من نور كلها روحانية نورانيـــة ربانية ، ولكن الشخص الأعظم الذي اسمه " زروان " شك في شيئ من الأشياء فحدث أهرمن من الشيطان يعني إبليس من ذلك الشـــك [٣] .

وهذا يعني أن الشر أو الظلام محدث . ولكن هناك بعض النصوص تزعم " أنه لم يزل كان مع الله شيئ ردئ إما فكرة رديئة ، وإما عفونة رديئة وذلك هو مصدر الشيطان ، وزعموا أن الدنيا كانت سليمة من الشرور والآثام والفتن وكان أصلها في خير محض ، ونعيم خالص ، فلما حدث " أهرمن " حدثت الشرور والآفات[٤] .

وينقل " الشهرستاني " بعض التصورات الفاسدة مثل قول بعضهم عن " أهرمن " كان هو في السماء والأرض خالية عنه فاحتال حتى خرق السمـــــاء

---

[١] **القاموس الإسلامي [ ٣ / ٥٩ ] .**
[٢] **نشأة الفكر الفلسفي [ ١ / ١٩٠ ، ١٩١ ] .**
[٣] **الملل والنحل ص ٢٣٥ .**
[٤] **نفسه ص ٢٣٦ .**

ونزل إلى الأرض بجنوده فهرب النور من السماء وحاصره الشيطان في جنته وحاربـــه الشيطان ثلاثة آلاف سنة ثم توسطت الملائكة وتصالحا على أن يكون إبليس وجنوده في قرار الأرض تسعة آلاف سنة ثم يخرج إلى موضعه فرأى الرب ( تعالى عن قولهم ) الصلاح في احتمال المكروه من إبليس وجنوده وألا ينقض الشرط حتى تنقضي المدة المضروبة للصلح فالناس في البلايا والفتن والخزايا والمحن إلى انقضاء المـــدة " [١] .

ويعلق " الشهرستاني " على هذه الأساطير بثاقب نظره " ولست أظن عاقلاً يعتقد هذا الرأي القائل ويرى هذا الاعتقاد المضمحل الباطل ولعله كان رمزاً إلى ما يتصور في العقل ، ومن عرف الله سبحانه وتعالى بجلاله وكبريائه لم يسمح بهذه الترهات عقله ولم يسمع مثل هذه الترهات سمعه " [٢] .

وصدق الشهرستاني في تعليقه الذي ينبثق عن التصور الإسلامي والفهم القرآني لعقلية المشرك يقول سبحانه ( **أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم كالأنعام بل هم أضـــل** ) [٣] .

---

[١] الملل والنحل ص ٢٣٦ .
[٢] الملل والنحل ص ٢٣٦ .
[٣] سورة الأعراف الآية : ١٧٩ .

**تعقيب :**

لقد نفذ الشهرستاني بثاقب نظره إلى الأفكار القديمة عند كل من " الزروانية " و " الكيومرثية " . من المجوس في كيفية حدوث الظلام . بعد قولهم بقدم النور ، ووصف تلك الأفكار بأنها خبط عشواء ، ومعه الحق فيما ذهب إليه ومن الذين كان لهم قصب السبق في هدم أفكار المجوس القدامى – الإمام الباقلاني – الذي تناول فكرة حدوث الشيطان من فكرة ردية طرأت على إله النور أو من شكة شكها شخص من أشخاص النور في صرته .

**يقول الباقلاني** : " إن قال قائل منهم : لم أنكرتم أن يحدث فعل من الله هو الشيطان أو غيره من فكرة فكرها أو شكة شكها أو عقوبة عاقب بها ؟ قيل له لاستحالة الفكر والشك على القديم . كما يستحيل عليه الجهل والموت والغفلة والنوم وغير ذلك من الآفـات الدالة على نقص من جازت عليه وحدوثه ، ولأنه لو كان سبحانه في أوله مفكـراً مرتاباً شاكاً لاستحال أن يَعْلَمْ أو أن تقع منه الأفعال المحكمة الدالة على العلم والقصـد .

أما حدوث الفعل عن عقوبة كما ذكرتم فهو باطل لأن العقوبة لو كانت ثابتة لكانت فعلاً وعَرَضاً من الأعراض ، ومحال وقوع شخص الشيطان أو غيره من العرض على سبيل الابتداء للفعل والتوليد . ثم يقال لهم خبرونا عن الشك أو التفكر أو العقوبة التي حدث منها الشيطان . أمُحدَثٌ ذلك أم قديم ؟ فإن قالوا بقدم هذه الأمور ، ألزموا إحالة كون الباري عالماً وأوجب عليهم قدم الجهل . ثم قيل لهم : فإن كان الشك والعقوبة والفكر التي عنها الشيطان قديمة فما أنكرتـم أن

يكون الشيطان قديماً لقدم ما كان عنه ؟ فإن مروا على ذلك تركوا قولهم بحدوثه ولا خلاص لهم من ذلك (١) .

ويضيف القاضي عبد الجبار بُعداً آخر في المناقشة فيذكر أن الدلالة قامت على أن الشيئ لا يحدث إلا من مُحدِث قادر فكيف يجوز أن يقال إن الشيطان حدث عن الفكر والشك ؟

فإن قالوا : إن الفكر كالسبب له ويصح عندكم حدوث الشيئ عن الأسباب قيل له إن ما يتولد عن السبب فهو من فعل فاعل السبب ، وذلك يوجب كونه محدثاً له وإن كان قد أحدثه بواسطة فإذا صح ذلك فقد عاد الأمر على هذا القول إلى أنه تعالى هو المحدث للشيطان ، وإذا صح مع كونه أصلاً للشر أن يحدثه فيجب أن يحدث سائر الشرور ويكون حكيمـاً (٢) .

وهي إلزامات لا مجال من الفرار منها إلا بترك ما هم عليه والتسليم بالحق .

أما ما ذكروه [ الزروانية من المجوس ] من دخول إبليس الدنيا وقتاله لرب العزة إلى آخره .. فمن الخرافات التي يجب أن لا نتشاغل بها (٣) .

مع تصريحه بعدم التشاغل بهذه الأمور فإن القاضي عبد الجبار كعادته مع الخصم يطرح أسئلة ملزمة – حول الصراع بين إبليس وبين رب العزة – يقول : كيف يصح أن يكون جل وعز مع كونه قديماً قادراً لنفسه يؤذيه غيره ويحاربه على وجه لا يمكن التخلص منه ؟ ولو صح أن يكون قديمـاً ويُحَاصَـرْ

---

(١) انظر : التمهيد للباقلاني ص ٧٥ – ٧٦ .
(٢) المغني [ ٥ / ٧٦ ] .
(٣) المغني [ ٥ / ٧٩ ] .

لصح أن يصلب على ما يذهب إليه بعض النصارى ، وكيف يصح أن يتخلص منه في الثاني ولما تخلص منه في الأول مع قدرته على التخلص منه ؟ وكيف يمنعه عند الشرط من التعدي عليه ، ولا يمنعه قبل ذلك ؟ وكيف يصح أن يضعف إبليس عند الشرط ولا يصح أن يضعف قبله ؟ وكيف يصح للعدلين أن يعدلا به أو يمنعاه من نكث الشرط ، ولم يصح من القديم تعالى منعه في الابتداء ؟

ثم ينتهي القاضي عبد الجبار إلى القول عن الأسئلة السابقة : " وكل ذلك يؤيد فساد تعلقهم بما هذوا بـــه " (١) .

---

(١) المغني [ ٥ / ٧٩ ] .

## أهم المظاهر الوثنية عند الفرس قبل زرادشت

كان الفرس قبل زرادشت حالهم كحال غيرهم من الشعوب المجاورة لهم يعبدون مظاهر الطبيعة المختلفة . لقد نظروا إلى الموجودات فوجدوا منها الخيِّر والشرير ، وتبعاً لتلك النظرة فقد قسموا الموجودات إلى قسمين :

**القسم الأول** : يشمل الموجودات الخيِّرة التي تبعث على السعادة ومن مظاهرها النهار ، والخصب ، والصحة ، والجمال ، والاستقامة وهذه الموجودات تصدر عن قوى الخيــر .

**القسم الثاني** : يشمل الموجودات الشريرة التي تصدر عن قوى الشر وتبعث على البؤس والشقاء ومن مظاهرها : الليل والشتاء والجفاف والقحط والأمراض والقبح .

ونظراً للثنائية الموجودة في الكون فالصراع دائم بين آلهة الخير وآلهة الشر وكل آلهة تتربص بالأخرى ، وعلى رأس آلهة الخير " أهورا مازدا " ، وعلى رأس آلهة الشر " أهرمن " ومنها تفرعت آلهة أخرى تمثل قوى الخير والشــر " (١) .

ولكن أكبر الآلهة عندهم تمثل في " ميترا " إله الشمس ، و " أناهيتا " إله الأرض والخصب والنماء (٢) .

**ويذكر العقاد** : أن الأقدمين من الفرس يلتقون مع الهند في عبادة " ميترا "

---

(١) انظر : حضارة مصر والشرق القديم ص ٤٤٣ والديانات والعقائد [ ١ / ٢٤٠ ] وانظر : فجر الإسلام : أحمد أمين [ ١ / ٩٩ ] .

(٢) الشرق واليونان القديمة [ ١ / ٢٥٥ ] وقصة الحضارة [ ٢ / ٢٤٥ ] .

إله النور وتسمية الإله " بالأسورا " أو إله " أهورا " وإن اختلفوا في إطلاق على عناصر الخير والشر فجعله الفرس من أرباب الخير والصلاح وجعله الهنود من أرباب الشر والفساد ، والبابليون عرفوا عبادة " ميترا " في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، ورفعوه إلى الآلهة العليا التي تحارب قوى الظـــلام . وقد تأثر الفرس بالبابليين كما أثروا فيهم فأخذوا منهم سنة التسبيع في عدد الآلهـــة [١] .

والذي يذكره العقاد وغيره عن الفرس القدامى تشترك فيه الديانات الوضعية لأن عوامل التأثير والتأثر موجودة بين أرباب هذه الديانات إما عن طريق الاحتكاك بين الشعوب بعضهم وبعض بسبب التجارة والترحال للبحث عن أسباب الرزق ، وإما بسبب الحروب بين الأمم بعضها البعض ، ومعلوم أن المنهزم غالباً يتأثر بالمنتصر ، وبالأخص إذا علمنا أن هذه الديانات وضعية ، فيكون من الممكن تركها واستبدالها بغيرها من الديانات الأخرى .

ونستطيع أن نرصد أهم المظاهر التي قدسها الفرس قبل زرادشت والتي تمثلت في الآتـــي :

<u>أولاً : تقديس النار :</u>

كانت عبادة النار والتقرب إليها والتوجه لها منتشرة عند الفارسيين قبل " زرادشت " وبعده . وليست النار المشتعلة في البيوت المعدة لها عند الفرس إلا مظهر فقط من مظاهر التقديس للكوكبين العلويين : الشمس والقمـــر .

---

(١) الله : للعقاد ص ٨٧ وحضارة مصر والشرق القديم [ ١ / ٤٤٣ ] .

ولكن الملاحظة التي نسجلها هي : أن عبادة النار في عقائد الإيرانيين الدينية أكبر من منزلتهما عند الأجناس الأخرى ، وكانت تمثل الكوكبين خاصة الشمس ، لأن النار كانت تقدس بوصفها الرمز الحقيقي لشخصية " أهورا مازدا " فضلاً عن كونها مصدراً للنـــور والحـــرارة [١] .

وقد ذكر غير واحد من المؤرخين بيوت النيران التي نصبها الفرس . يقول الشهرستاني عن بيوت النيران للمجوس : " فأول بيت بناه " أفريدون " : بيت نار بطوس وآخر بمدينة " بخاري " هو " بردسون " ، واتخذ " بهمن " بيتاً بسجستان يدعى " كركو " ولهم بيت آخر في نواحي بخاري يدعى " قباذان " ، وبيت نار يسمـــــى " كيخسرو " وآخر بقومس يسمى " جر بر " [٢] " .
ويذكر الشهرستاني أن هذه البيوت تم بناؤها قبل " زرادشت " .

وقد بلغت هذه البيوت عندهم حداً كبيراً من الاهتمام حيث اتخذوا لها الوقوف والسدنة والحُجاب فلا يدعونها تخمد لحظة واحدة كما يذكر ابن القيم[٣].

أما عن سبب عبادتهم النار وتقديسهم لها على اختلاف أزمنتهم فللآتي :

(١) أنها المصدر للنور والحرارة وهي الرمز الحقيقي لشخصية " أهورا مازدا " إله النور عندهـــم [٤] .

(٢) أن النار جوهر شريف علوي وأنها ما أحرقت الخليل إبراهيم عليه السلام[٥]

---

(١) الفرس وإمبراطورية الشاه الأعظم [ ١ / ٤٤٣ ] والفلسفة الشرقية ص ١٨٢ .
(٢) الملل والنحل ص ٢٥٥ .
(٣) إغاثة اللهفان [ ٢ / ٢٢٩ ] .
(٤) الفلسفة الشرقية : د / غلاب ص ١٨٢ .
(٥) الملل والنحل ص ٢٥٦ .

(٣) لأن النار لا وجود إلا بها ولا بقاء إلا بإمدادها في زعمهـم [١] .
(٤) اعتقادهم أن التعظيم لها ينجيهم من عذاب النار في الآخرة [٢] .

كانت هذه بعض الأسباب التي من أجلها قدَّس الفرس النور ، وكما نلاحظ فإن معظم التعليلات تركز على جانب النفع والضرر الحاصل من النار ، فالتقديس رغبة أو رهبة . غير أنهم ذكروا بعض التعليلات المعنوية والمتمثلة في كونها الرمز الحقيقي لشخصية " أهورا مازدا " إضافة إلى أنها ما أحرقت إبراهيم عليه السلام ، وقد مر بنا ذكر المؤرخين لدعوة إبراهيم عليه السلام لأهل الفرس .

ولكن تبقى عبادة النار هي العبادة التي لم يتخل عنها الفرس التي تكاد تكون من البلاد القليلة التي احتفظت بالديانات القديمة حتى بعد ظهور ديانات جديدة وعلى رأسها الإسـلام [٣] .

**ثانيا : تقديس مظاهر الطبيعة من أرض وهواء وماء ونبات :**

توجه الفرس شأنهم شأن الأمم الوثنية القديمة إلى عبادة مظاهر الطبيعة من أرض ، وهواء ، وماء ، ونبات . وكان عندهم " أنا هيتا " إله الخصب والنماء يشكل جانباً كبيراً من الأهميـة [٤] .

وقد بلغ الأمر بهم إلى أن اعتبروا مظاهر الطبيعة كالأرض مثلاً عنصر طاهر يجب أن لا ينجس بدفن الأموات فيه بل يلقون جثث موتاهم بأعالي الجبال

---

[١] الملل والنحل ص ٢٥٤ .
[٢] نفسه ص ٢٥٦ وانظر : إغاثة اللهفان [ ٢ / ٢٩٩ ] .
[٣] الوحدانية ص ٤٨ - ٤٩ .
[٤] الفلسفة الشرقية ص ١٨٢ .

للطيور الجارحة والسباع بدلاً من دفنها [١] .

ومن الأمور التي تصاحب العبادة عندهم ، شراب مُسكر يعصرونه من عشب ينمو على سفح جبالهم سُمي هذا الشراب باسم " هو ما " [٢] ، وهذا الشراب قدسه الفرس القدامى واعتقدوا أنه يجب أن يُعْبَدَ وبالفعل عبدوه ووضعوا عدة أناشيد للتغني باسمه [٣] . وهذا شأن أرباب الوثنيات قديماً وحديثاً .

نلاحظ أنهم يعتقدون في قداسة بعض الأشياء على الرغم من هوانها وتهافتها . وقد ذهب البعض إلى أن هذا الشراب المقدس لدى الفرس قديماً كان له أثر في رباعيات الخيام التي تغنى بها ، وكانت الخمر هي المحور الذي تدور عليــه رباعياتـــه [٤] .

**ثالثاً : تقديس الحيوانـــات :**

مر بنا أن الفرس كانوا يعتقدون أن الثور قد مات ثم بُعث وأعطى للخليفة دمه شراباً ليسبغ عليهم نعمة الخلـــود [٥] .

ويبدو أن عبادة الثور كانت منتشرة عند كثير من الأمم الوثنية – مثل المصريين القدماء ، واليهـــود .

ومن الحيوانات التي نظر إليها الفرس نظرة تقديس " **كلب البحـــر** " فقد

---

[١] قصة الحضارة [ ٢ / ٤٢٨ ] .
[٢] الديانات والعقائد [ ١ / ٢٣٨ – ٢٣٩ ] .
[٣] الفلسفة الشرقية ص ١٨٣ .
[٤] الفلسفة الشرقية ص ١٨٢ .
[٥] قصة الحضارة [ ٢ / ٤٢٥ ] وانظر : حضارة مصر والشرق القديم ص ٤٤٣ .

بلغ عندهم منزلة عظيمة إلى درجة أن من يؤذيه أو يقتله " يجب أن يعاقب بضربه عشرين ألف عصا ، وكان المسكين يموت غالباً قبل أن يستوفي هذا العدد غير أنه إذا نجا وجب عليه أن يقدم عشرة آلاف قربان شكراً للآلهـــة على نجاته ولا يكتفى بتقديمه القرابين من السوائم السابق عددها ، ولكن عليه أن يقتل عشرة آلاف ضفدعـــة " [١] .

وإذا صح النص السابق فإننا نستنبط منه أن الحيوانات لم تكن في مرتبة واحدة عند الفرس القدامى ، فالبعض يُكرم ، والبعض يُقتل ويُحرق . وذلك راجع فيما يبدو إلى مذهبهم في إله النـــور ، وإله الظلمـــة ، فعندهم بعض الحيوانات من خلق " أهورا مازدا " مثل الثور والكلب ، والطير والأحياء الضارة من خلـــــق " أهرمن " كالحية وما شابهها من الحشـــرات والهـــوام [٢] .

---

[١] الفلسفة الشرقية ص ١٨٢ .

[٢] الله : للعقاد . ضمن موسوعة العقاد الإسلامية [ ١ / ١١١ ] .

**تقديس الملـــوك وعبادة الأســـلاف :**

كانت الأكاسرة ملوك الفرس يدَّعون أنهم يجري في عروقهم دم إلهي ، وكان الفرس ينظرون إليهم كآلهة ويعتقدون أن في طبيعتهم شيئاً علوياً مقدســاً ، فكانوا ينشدون الأناشيد بألوهيتهم ويرونهم فوق القانون وفوق الانتقــاد وفوق البشر لا يجري اسمهم على لسانهم ولا يجلس أحدٌ في مجلسهم (١) .

ويزداد هذا الشعور بأن دماً إلهياً يجري في عروق ملوكهم إذا كانوا من بعض الأسر الخاصة كالأكمنيين ، فقد كان ينظر إليهم على أنهم مؤيدون بروح علوية ، وكانت هذه النظرة لها تأثيرها في سير البلاد وحكمها ، فإذا ما كانت ملوك الفرس من هذه الأسرة المعترف لها بالصلة الإلهية فإن كل أفرادها تكون مقدسة أما إذا كانوا من أسر أخرى فإن الأمر يكون بالعكس تماماً (٢) .

لقد وصل اعتقاد الفرس في ملوكهم درجة ليس لها مثيل عند غيرهم من الأمم فقد ذهبت الرعية إلى القول بحلول روح الإلــه في ملوكهم وأن هذه الروح تنتقل في أصـــلاب الملوك من الآبــاء إلى الأبناء . ونظراً لذلك الاعتقاد فقد نظر الملوك إلى الرعية على أنهم لا قيمة لهم في مقابل ملوكهم إلى حد أن بعض الملكات أمرت بدفن أربعة عشر طفلاً من أبناء النبلاء أحياءً ليكون ذلك قرباناً عنها يقربها من الآلهــة (٣) .

ونظراً لهذه المظاهر كلها من تقديس الملوك والتضحية بالأبناء إرضاءً لهم ولآلهتهم المزعومة فإن نظرية الحق الإلهــي لم تُعْتَنَقْ بقوة كما اعتُنِقَتْ فــي

---

(١) انظر : فجر الإسلام ص ١١١ ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٥٨ ـ ٥٩ .

(٢) الوحدانيــة ص ٦٣ .

(٣) الفلسفة الشرقية ص ١٨٢ ، والشرق واليونان القديمة [ ١ / ٢٢٥ ] .

فارس . وكان الأكاسرة يزعمون أن لهم الحق وحدهم أن يلبسوا تاج الملك بما يجري في عروقهم من دم إلهــي [١] .

وتعني نظرية الحق الإلهي تلك أن الحاكم قد نُص عليه من السماء واصطفاه الإله لكي يكون ملكاً على الناس في الأرض .

وقد انتقل الشعور بالتميز من ملوك الفرس إلى أفراد الشعب الفارسي حيث اعتقدوا أنهم أفضل من جميع الأمم والشعوب ، وأن غيرهم من الأمم تدنو منهم بحسب موقعها الجغرافي من بلاد فارس وأن شر الناس أبعدهم عنها [٢] .

بعد الذي قدمناه لا نستغرب ما وُجد عند الفرس القدامى من المبالغة في عبادة الأسلاف ، وتقديم القرابين لهم ، واعتقادهم أن الأسلاف عندهم القــدرة على النفع والضرر وأنهم يعيشون في كنف إله النور في زعمهــم ...

فقد كان الإيرانيون يعتقدون أن في مقدور سلفهم الراحلين أن يغدقوا النعمة على سلالتهم واعتبروا أن السلف قديسين يحفون بعرش الإله الأعلــــى " أهورا مازدا " فهم بشفاعتهم يستطيعون أن يستنزلوا الخير على ذريتهم [٣] .

---

[١] انظر : البيروني تحقيق ما للهند من مقولة ص ٧٦ ، وفجر الإسلام ص ١١١ .
[٢] قصة الحضارة [ ٢ / ٣٢٢ ] .
[٣] الفرس وإمبراطورية الشاه الأعظم : مقال ضمن تاريخ العالم [ ٢ / ٤٤٣ ] .

## المبحث الثاني

## زرادشت : حقيقته وعقيدته

من الأسماء التي تتردد بكثرة في التراث الفارسي اسم " زرادشت " وهو شخصية اختلف حولها المؤرخون هل وُجد حقيقة . أو ليس له أثر وإنما هو شخصية أسطورية لا وجود لها أصلاً [١] ؟

لقد ذهب جماعة من الباحثين إلى أسطورية الآثار الواردة عنه . ولكن كثيراً ممن كتبوا عن الفرس وتاريخهم ودياناتهم قد أثبتوا وجوده وممن دلل على أن " زرادشت " وُجد وكان له أتباع :

الأستاذ " **جاكسن** " الذي ألف كتاباً أثبت فيه أن زرادشت شخص تاريخي لا أسطوري وأنه من قبيلة " **ميديا** " في الجزء الغربي الشمالي من فارس وأنه ظهر أمره نحو منتصف القرن السابع ق . م ومات نحو سنة ٥٨٣ ق . م ، وذكر أن موطنه " **أذربيجان** " وإن كان نجاحه قد ظهر في " **بلخ** " على اثر دخول الملك " يشتاسب " في دينه الأمر الذي أدى إلى انتشار دينه في فارس كلها [٢] .

وما ذكره " جاكسن " ونقله الأستاذ أحمد أمين عنه – حول تاريخ ميلاده حوله أخذٌ ورد لأنه إذا كان وجوده نفسه حوله اختلاف فمن باب أولى مولده ، فيذهب البعض إلى أنه وجد حوالي القرن الثامن ق . م [٣] ، واليونانيون يردون مولده إلى القرن الستين ق . م . والمصادر العربية القديمة إلى القرن السادس

---

[١] غلاة الشيعة ص ٣٥٤ .

[٢] فجر الإسلام ص ٩٩ .

[٣] الفلسفة الشرقية ص ١٨٥ والله للعقاد ص ٨٨ .

ق . م وهذا القرن بالتقريب ذهب كثير من الباحثين المُحْدَثِينْ إلى أنه وُلِدَ فيه حوالي ٦٦٠ ق . م وتوفـــي ٥٨٣ ق .م [١] .

**الأساطير التي نُسجت حول مولــده :**

نُسجت حول مولد " زرادشت " الأساطير فيذكر أن أمه حملت به حملاً إلهياً وأن مولده اقترن بالمعجــزات [٢] .

ويقال إنه لما وُلد قهقه قهقهة عالية فقفزت من حوله الأرواح الخبيثــة وأتي بمعجزات وأخبر عن الكائنات قبل حدوثهــا [٣] .

ويقال إن كبير السحرة آنذاك قد عرف بمولده فأرسل ثلاثة من أتباعه ليختطفوا ذلك الطفل ويحملوه إلى معبد النار ، وبالفعل ألقوه في النار ، إلا أنه خــرج منها سالماً بعد أن شاهدته أمه يلعب في وسطها [٤] . وهذه شنشنة معلومة عند أرباب الديانات الوثنية ينسجونها حول عظمائهم أو الأشخاص الذين يُؤلهون فيما بعد عند أتباعهــم .

**عقيدته : هل دعا زرادشت إلى التوحـــيد ؟**

يفرق " الشهرستاني "بين المحوس الأصلية واللاحقة ويصنــف " الشهرستاني " " زرادشت " ضمن المجوس الأصلية الذين يقولون بأن الأصلين

---

[١] **حضارة مصر والشرق القديم ص ٤٤٦ وقصة الحضارة [ ٣ / ٤٢٥ ] والتفكير الديني قبل الإسلام ص ٣٣٢ / ٣٣٣ .**

[٢] **الشهرستاني ص ٢٣٨ .**

[٣] **مروج الذهب للمسعودي [ ١ / ١٩٦ ] وحضارة مصر والشرق القديم ص ٤٤٦ وفجر الإسلام ص ١٠٠ .**

[٤] **قصة الديانات ٢٨٠ / ٢٨١ والتفكير الديني قبل الإسلام ص ٣٣٢ .**

أي النور والظلمة لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين بل النور أزلي والظلمة محدثة [١] .. ويقررّ " الشهرستاني " أن " زرادشت " ومن قبله من المجوس أما مَنْ بَعْدَهُمْ فهم الثنوية [٢] .

وبناءً على تفرقة " **الشهرستاني** " فإن " زرادشت " يقول بالتثنية . غير أنه يقول بأزلية إله النور وحدوث إله الظـــلام . ولكن " الشهرستاني " الذي يذكر هذا عن " زرادشت " هو نفسه الذي يقول عن عقيدته ودعوته : " ولما بلغ مبلغ الكمال بأربعين سنة وتمت له المخاطبات في سبع عودات إلى " أورمزد " أكمل فيها معرفة شرائع دين الله وفرائضه وسننه أمره الله بالمسير إلى " كشمتاسب" الملك وإظهار ذكر الله واسمه فنفذ لأوامر الله ودعا ملكين كانا بذلك الصقع يقال لهما : " فور بما راي " و " بيويدست " فدعاهما إلى دين الله والكفر بالشيطان وفعل الخير واجتناب الشر ، فلم يقبلا قوله وأخذتهما العزة بالإثم فجاءتهما ريح فحملتهما من الأرض ووقفت بهما في الهـــواء " [٣] .

ويذكر " الشهرستاني " كلاماً عن " زرادشت " أشبه بكلام عن الموحدين فيذكر " أن دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الخبائث وأن الباري تعالى خالق النور والظلمـــة ومبدعهما وهو لا شريك لـــه ، ولا ضد ولا نـــد " [٤] .

ويقرر " الشهرستاني " بوضوح أكبر فيقول : " ومما نص عليه " زرادشت " أن للعالم قوة إلهية هي المدبرة لجميع ما في العالـــم المنتهيـــــــــة

---

[١] الملل والنحل ص ٢٣٤ .
[٢] نفســه ص ٢٤٥ .
[٣] نفسـه ص ٢٤٢ .
[٤] نفســه ص ٢٣٨ .

مبادئها إلى كمالاتها " (١).

هذا ما قاله " الشهرستاني " ونلاحظ كما لاحظ أحد الباحثين(٢) أن " الشهرستاني " وصف " زرادشت " بأوصاف هي بعينها ما تنسب إلى رسل الله الكرام الذين ورد ذكرهم في القرآن وهذا فيما يرجح من كلام " الشهرستاني" وصياغته وليس من كلام " زرادشت " أو أتباعه ، وقد صنع " الشهرستاني " نفس الشيئ حين عرض رأي فلاسفة اليونان الأوائل ، يقول مثلاً عن " أنكساغوراس رأيه مثل رأي تاليس في الوحـدانية " (٣) .. وقد تابع رأي الشهرستاني كثير من الكتاب المسلمين والغربيين .

يقول الدكتور عبد الواحد وافي : " كانت الديانة الزرادشتية في أصلها ديانة توحيد تدعو إلى عبادة الإله الواحد وتحارب الشرك وعبادة الأصنام والكواكـب وجميع أدعيتها وصلواتها وآيات أسفارها تتجه إلى هذا الإلـه الواحـد " (٤) .

ويحشد العقاد الأدلة على توحيد " زرادشت " فيذكر أن الإله الذي دعا إليـه زرادشت هو ما يسمى " بأهورا مازدا " الذي يتركب من ثلاث كلمات وهـي " أهو " " را " " مازدا " ومعناها على الترتيب ( أنا – الوجود – خالق ) أي أنا وحدي خالق الوجود أو الكـون " (٥) . وقد أورد هذا الكلام للتدليل والتأكيد على أن دعوته كانت دعوة توحيـد .

---

(١) الملل والنحل ص ٢٤٤ .

(٢) انظر منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٥٦٤ للشيخ محمد بن ناصر السحيباني .

(٣) الملل والنحل ص ٣١٨ وانظر ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٤) الأسفار المقدسة ص ١٦٣ دار نهضة مصر . وانظر الله للعقاد ص ٩٧ .

(٥) الله : للعقاد ص ١٦٤ .

والغربيون يجزمون بأن " دعوة زرادشت هي التوحيد بأنقى مظاهره ، فهو في نظرهم لا يقر إلا بإله واحد لا قياس لعظمته ، وقدرته وروحانيته ، وهذا الإلـــه الواحد له عدة صفات هي : النور ، والعقل ، والخير ، والحق ، والجبروت ، والقداسة ، والإحسان ، والخلود [١] .

هذا الإله الذي دعا إليه " زرادشت " الناس لقي معارضة كبيرة من بني جنسه ورحل بدعوته إلى خارج إيران ، ولكن لم يستجب أحد له إلى أن سمع به ملك يُدعى " بشتاسب أو كشتاسب " فأحضره وشرح له دعوته فاتبعه وقهر الناس على اتباعه وأمر بنسخ كتابه بالذهب وجعله في موضع ومنع العامة من تعاليمه إلى أن حرق الإسكندر هذا الكتاب وشروحـــه " [٢] .

ويروي المؤرخون أيضاً " أن زرادشت قال لكشتاسب : إن الملك يزول عن الفرس إلى الروم واليونانية ثم يعود إلى الفرس ثم يزول عن الفرس إلى العرب ثم يعود إلى الفرس وساعده جاماسب المنجم على ذلك وزعم أن الملك يعود إلى العجم لتمام ألف وخمسمائة سنة من وقت ظهور" زرادشت " " [٣] .

ولكن كيف يستقيم ما ورد عن وحدانية " زرادشت " مع ما ورد عنه من قوله بأزلية النور وتقديسه للنار على أنها أصفى وأطهر العناصر المخلوقة . وما وُصف به من أنه كان ثنوياً كما يقول القاضي عبد الجبار [٤] وغيره ؟ .

---

(١) قصة الحضارة [ ٢ / ٤٢٨ ، ٤٢٩ ] والشرق واليونان القديمة [ ١ / ٢٢٥ ] .
(٢) التفكير الديني قبل الإسلام ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ . وانظر الكامل لابن الأثير [ ١ / ٢٦٠ ] . وانظر ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ . وانظر العبر وديوان المبتدأ [ ٣ / ٣٢٤ ] .
(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨٦ .
(٤) انظر المغني [ ٥ / ٧٠ وما بعدها ] .

بعض الغربيين يذهبون إلى حل هذا التناقض من نسبة التوحيد إليه ، والقول بأنه ثنوي . يقولون : " إن " زرادشت " من الناحية اللاهوتية موحداً ومن الناحية الفلسفيـــة ثنويا " .

**ويشرح الأستاذ أحمد أمين هذه العبارة بقوله :**

" إن زرادشت من ناحية العقيدة كان يرى أن للعالم إلهاً واحـــداً ، ولكن إذا تعرض لشرح فلسفة العالم وما فيه من خير وشر يتطاحنان وما إلى ذلك فهو ثنوي يرى أن في العالم قوتيـــن " [1] .

وهذا التفسير والتوفيق لا يشفي الغليل ولا يحل المسألة ، ويبدو أن التداخل بين الوثنية والتوحيد فيما ورد عن " زرادشت " وعقيدته – تجعل الباحث في حيرة لأن القول بأحد الأمرين – أي التوحيد أو الوثنية – إنما هو من باب الترجيح لا اليقين لأن احتمال دخول عبادات أخرى من مناطق مجاورة أمر ممكـــن بسبب موقع البلاد في مفترق الطرق التجارية حيث كان الناس ينقلون العقائد مع التجارة ، وحيث أنبياء بني إسرائيل ومن قبلهم إبراهيم وإسماعيل على الجميع أفضل الصلاة والسلام ، وهنا لا يمكن التفريق بسهولة بين ما هو من الزرادشتية أساساً وبين ما نسب إليها وهو مأخـــوذ عن غيرها [2] .

وهذا المنحى لم يحل لنا المشكلة أيضاً – لأنه بالفعل نُسب إليه القول بالدعوة إلى التوحيد وأيضاً نُسب إليه القول بالوثنية واستمر أتباعه على النزعـــة الوثنية .

---

[1] **فجر الإسلام [ ١ / ١٠٣ ]** .
[2] **الوحدانيـة ص ٥٥ - ٥٦** .

ولكن الباحث يلمح بين ثنايا النصوص ما ذكره " ابن الأثير" في كتابه " **الكامل** " إذ يقول : " وكان " زرادشت " فيما يزعم أهل الكتاب من أهل فلسطين يخدم لبعض تلاميذ " أرميا " النبي خاصاً به فخانه وكذب عليه – أي " زرادشــت " – فدعا الله عليه فبرص ولحق ببلاده " أذربيجان " وشرع بها دين المجوس " (١)

وقد ذكر " القرماني " هذا ، ولكن ذكر " أنه كان يخدم نبي الله العزير عليه السلام ثم خالفه زرادشت فدعا عليه فخرج وألف كتابه المنسوب إليه من قبل المجوس " (٢) .

ومما هو جدير بالذكر أن النبي أرميا المشار إلى أن " زرادشت " تعلم على أحد تلاميذه،التواريخ التي أثبتها أهل الكتاب حول ميلاده – أي أرميا – ودعوته قريبة إلى حد كبير من التواريخ التي وُجِدَ فيها " زرادشت " (٣) .

وهذه النصوص إذا صحت تحل لنا جزءاً كبيراً من مشكلة التناقض بين قوله بالتوحيد ووجود الآثار الوثنية في عقيدته ودعوته . بمعنى أن التوحيد أو بقايا التوحيد من الحق الذي بقى معه من تعلمه على يد الأنبياء وما كان من وثنية فمرده إلى انحرافه عن دعوة هؤلاء الأنبياء وإلى الميراث الوثني الذي كان سائداً في البيئة التي نشأ فيها ، وهذا يفسر اختلاط التوحيد بالوثنية في دعوة زرادشــت وعقيــــدته .

---

(١) الكامل لابن الأثير [ ١ / ٢٦٠ ] .
(٢) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ص ٣٥٠ .
(٣) دائرة المعارف للبستاني [ ٣ / ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ] .

## الاختلاف حول نبــوة زرادشت :

يذهب أتباع " زرادشت " إلى أنه نبي وقد نقل ذلك عن أتباعه كثير من المؤرخين وكُتاب الملل والمقالات .

يذكر القاضي عبد الجبار عن المجوس " وزعموا أن لهم أنبياء وأن آخر أنبيائهم " زرادشت " ، ويدّعون له أعلاماً ذكروها في هذا الباب " (١) .

والمسعودي يذهب إلى أن " زرادشت " هو نبي المجوس يقول :

وكانت مدة نبوة زرادشت فيهم خمس وثلاثين سنة وهلك وهو ابن سبع وسبعين سنة " (٢) .

ويقرر ابن حزم في الفصل أن المجوس نقلت أنه نبي وأن له معجزات يقول : " وقد نقلت كواف المجوس الآيات والمعجــزات عن " زرادشت " كالصفر " النحاس " الذي أفرغ وهو مذاب على صدره فلم يضره ، وقوائم الفرس التي غاصت في بطنه فأخرجها " (٣) .

وبعض ما يروجه الفرس عنه نقله " الشهرستاني " ورده يقول " ومنها أنه مر على أعمى بالدينور فقال : خذوا حشيشة وصفها لهم واعصروا ماءها في عينه فإنه يبصر ففعلوا فأبصر الأعمــى " (٤) .

ويعلق " الشهرستاني " على ما نسب إلى زرادشت بقوله : " وهذا مــن

---

(١) المغني للقاضي عبد الجبار [ ٥ / ٧٢ ] المؤسسة المصرية العامة للكتاب .
(٢) مروج الذهب [ ١ / ٢٥٣ ] .
(٣) الفصل لابن حزم [ ١ / ٩٢ ] .
(٤) الملل والنحل ص ٢٣٩ .

جملة معرفته بخاصية الحشيش وليس من المعجزات في شيئ " [١] .

وقد ذكر البيروني المتنبئين من أمة الفرس فذكر منهم بوذا ست [٢] ، وذكر منهم " ماني " [٣] وذكر منهم " مزدك " [٤] ، ولكن لم يذكر" زرادشت" فهل يعتبره البيروني من غير المتنبئين الأدعياء ومن ثمَّ يكون نبياً حقيقياً في نظره ؟ أو لا يعتبره أصلاً قد ادعى النبوة لا بحق ولا بباطل ؟ يحتمل هذا ، وذاك .

وفي الحقيقة أمام هذا الاختلاف لا يصح أن يوصف من جانب المسلمين بأنه نبي لأنه لم يذكر صراحة في القرآن الكريم ولا أخبر عنه صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه من السنة الصحيحة . ولا ينبغي أن نذهب إلى الاحتمال الذي يميل إلى أنه نبي استناداً إلى القرآن الكريم في قوله تعالى **( ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً )** [٥] .

كما ذهب إلى هذا صاحب كتاب " التفكير الديني في العالم قبل الإسلام " إذ يقول : " وتعاليم زرادشت فيها من المبادئ ما يشابه مثيلاتها في الأديان السامية وبخاصة اليهوديـــــة " [٦] .

ويقول : " من الممكن أن يكون " زرادشت " نبي مثل " بوذا " أو" جينا " [٧] وهذا الكلام ليس له أساس من الصحة لأنه ليس معنى أن القــرآن الكريـــــم

---

[١] الملل والنحل ص ٢٣٩ .
[٢] الآثار الباقية ص ٣٠٤ .
[٣] نفســه ص ٢٠٧ .
[٤] نفســه ص ٢٠٩ .
[٥] سورة النساء الآية ١٦٤ .
[٦] التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ص ٣٤٩ .
[٧] المصدر السابق نفس الصفحة .

قال : " منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك " [١] أن نترك العنان لعقولنا أن تجد علاقة لنبوة مثل هؤلاء ، فإن النبوة لا تثبت إلا بالنص ولا تقبل إلا بالتواتــر [٢] .

وقد أصاب الدكتور رءوف شلبي – عليه رحمة الله – كبد الحقيقة بهذا التعليق لأنه بالفعل إذا كان الله لم يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأسماء بعض الرسل فليس من المعقول أن يخفي اسم زرادشت "عن النبي ونعلمه نحن مهما كانت الدلائل والمحجات والأسانيد عدم القطــع بنبوة أحد من الذين سكت عنهم [٣] الله ورسوله . خاصة إذا كان هذا الشخص قد اختلفت الروايات عنه في وجوده في الأصل ثم تردد الأقــوال حول عقيدته ودعوته بين التوحيد والوثنيــة المتمثلة في عبادة النار .

---

[١] سورة غافر الآية ٧٨ .
[٢] انظر تعليق الدكتور / رءوف شلبي على النص السابق ص ٣٤٩ .
[٣] الأديان في القرآن ص ٩١ ، ٩٢ . ٩٣ وانظر الفصل في الملل والنحل [ ١ / ٩١ ، ٩٢ ] .

**كتاب زرادشت والاختلاف حوله :**

من أهم الآثار التي نسبت إلى " زرادشت " كتابه الذي تحدث عنه معظم من كتبوا عن " زرادشت " يقول المسعودي : " إنه أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوام الناس واسمه عند المجوس بستاه ومعجم هذا الكتاب يدور حول ستين حرفاً من أحرف المعجم وليس في سائر اللغات أكثر حرفاً من هذا . وقد أتى " زرادشت " بكتابهم هذا بلغة يعجزون عن إيراد مثلها ولا يدركون كُنه مرادها ثم عمل لهم تفسيراً عند عجزهم عن فهمه وسموا هذا التفسير " زندا " ثم عمل للتفسير تفسيراً وسماه " بازند " [١] .

وابن الأثير يؤكد كلام المسعودي فيذكر " أن " زرادشت " ألّف كتاباً وطاف به الأرض فما عرف أحدٌ معناه وزعم أنها لغة سماوية خُوطب بها ، وفي هذا الكتاب علوم مختلفة وأخبار القرون الماضية وكتب الأنبيـــاء " .

ويورد ابن الأثير " أن كتاب " زرادشت " فيه البشارة بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ففيه تمسكوا بما جئتكم به إلى أن يجيئكم صاحب الجمل الأحمر يعني محمداً صلى الله عليه وسلم وذلك على رأس ألف سنة وست مائة سنة ، وبسبب ذلك وقعت البغضاء بين المجوس والعرب " [٢] .

ويبدو أن حجم الكتاب استحوذ على استغراب المؤرخين فنجدهم يذكرون حجم الكتاب على سبيل التعجب . يذكر القرماني أن " زرادشت " مؤلف كتاب دين المجوس وكان من تلامذة عزيرٌ النبي عليه السلام . سمعه وقرأ عليه ثـــم

---

[١] مروج الذهب [ ١ / ١٥٢ ـ ١٥٣ ] .
[٢] الكامل لابن الأثير [ ١ / ٢٥٩ ] .

خالفه فدعا عليه عزيرٌ عليه السلام ثم ألف كتابه المذكور في اثنى عشر مجلداً كل مجلد في جلد ثور تحمله عجلة واحدة أباح في كتابه تزويج الأمّ والأخت وأحل شرب الخمر وأمر بعبادة النيـــــران " [١] .

ويبدو الخلط واضحاً لدى المؤرخين – فيما يتعلق بكتاب " زرادشت " – نظراً لأن المعلومات التي نقلت عن " زرادشت " لا تتناسب مع ما ذكر في كتابه خاصة مثل زواج المحارم . ولعل القرماني خلط بين " زرادشت " " ومزدك " في إباحة زواج المحـــارم . أو من الجائز أن يكون " زرادشت " قد دعا إلى زواج المحارم قبل " مزدك " .

ويعطي ابن خلدون بعض التفصيلات عن كتاب " زرادشت " فيذكر أنه مكون من ثلاثة أقســـام :

قسم في أخبار الأمم الماضيـــة .

قسم في أحداث المستقبل .

قسم في النواميس والشرائع .[٢]

و" الشهرستاني " يتحدث عن القسم الثالث من كتاب " زرادشت " فيذكر أن : " النواميس والشرائع وهي حركات الإنسان يقسمها " زرادشت " إلى ثلاثة أقسام : منش ، وكويش ، وكنش . يعني بذلك الاعتقاد والقول والعمل وبالثلاثـــة يتـــم التكليف فإذا قصر الإنسان خرج عن الدين والطاعة وإذا جرى في هـــــذه

---

[١] أخبار الدول وآثار الأول ص ٣٥٠ .

[٢] كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر [ ٣ / ٣٣٤ ] .

الحركات على مقتضى الشريعة فاز الفور الأكـبر " [١] .

ومن مجموع الروايات التي نقلت عن " زرادشت " نكاد نرى شبه إجماع على نسبة هذا الكتاب إليه . لكن يبقى الاختلاف حول نسبة هذا الكتاب إلى السماء وبالتأمل فيما ورد في هذا الكتاب مثل إحلاله زواج المحارم ودعوته إلى عبادة النار تخرجه عن كونه وحياً من السماء ، على الرغم من محاولات البعض لصرف دعوته إلى عبادة النار إلى أن ذلك رمزاً للقـوة العليا الخفيـة .

يقول الدكتور حامد عبد القادر : " إن " زرادشت " دعا إلى عبادة أهورا مازدا القوة الروحانية العليا المجردة من الشوائب ، ولما كان يعلم أنه ليس في طاقة كثير من الناس أن يصلوا إلى هذه المرتبة فقد رمز إلى هذه القوة الخفية الغيبية برمزين ماديين مشاهدين هما الشمس والنار ، ولم يدع " زرادشت " إلى عبادة النار على أنها كائن حي مزود بحياة وروح بل إنه دعا إلى تقديس هذين العنصرين على أنهما رمزان لتلك القـوة الواحـدة " [٢] .

وأرجح أنه على الرغم من هذا التخريج إلا أن ما ورد عن " زرادشت " لا يجعلنا نذهب إلى أنه نبي ولا أن كتابه مُوحى به من عند الله ، على الرغم من اتجاه بعض العلماء قديماً [٣] وحديثاً [٤] إلى أن دعوته دعوة توحيد . نعم نحن لا ننكر أن بعض آثار التوحيد قد بدت في دعوته وهذا من آثار الوحي إلى أهل فارس ، أو من تأثر " زرادشت " ببعض الأنبياء الذين عاصرهم إذا صح ذلك .

---

[١] الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٣٩ .
[٢] زرادشت الحكيم نبي الإيرانيين نقلاً عن الأديان في القرآن ص ٨٠ .
[٣] انظر الفصل لابن حزم في كلامه عن المجوس وزرادشت .
[٤] انظر الدكتور عبد المعطي بيومي في كتابه جذور الفكر المادي ص ١٢١ - ١٢٢ .

## أثر الزرادشتية على الفرس

لقد أحدثت دعوة " زرادشت " صدىً واسعاً في أهل فارس وامتازت بعدة مميزات كما يذهب بعض الباحثين أدت إلى استمرارها فترة طويلة ، نستطيع أن نرصدها في النقاط التاليـــة :

**أولاً** : قدر للديانة " الزرادشتية " أن تنعم برعاية الملوك سواء من البارثيين أو الساسانيين الذين أسسوا الإمبراطوريـــة الفارسية الثانية غير أن الديانة " الزرادشتية " تشابهت مع اليهودية في أنهما لم يضما إلى حظيرتهما عدداً أكبر من المهتدين فأصبحتا ديانتان قوميتان . وامتازت " الزرادشتية " بأنها ظلت آمنة مطمئنة داخل حدود الإمبراطوريـــة الفارسية [١] إلى درجة أن أحد الملوك أمر بذبح اثنى عشر ألف بقـــرة ودبغ جلودهـــا وربطها بالذهب وكتب عليها كتاب " زرادشت " .

**ثانيا** : أن الدعوة التي نادى بها " زرادشت " تمتاز عن غيرها من الديانات القديمة بأنها بنيت على أساس مبدأ تعميم الخير وإبادة الشر ، وهي ترى أن من أهم الوسائل لتحقيق الغاية هو تقـــوية النوع البشري ، ونشر الخصوبة والعمـــران على سطح الأرض ، والملاحظ أن فكرة الخير والدفاع عنها وجدت في المصرية القديمة ، ولكن الديانة المصرية لم تتخذها غاية لها كما فعل " زرادشت " فخصومة " أزوريس " و " سيت " لم تكن حرباً بين الخير والشر وإنما كانت خصومة سياسية من أجل الاستيلاء على العرش .

---

(١) تاريخ الحضارة الهيلينية ص ٢٤٢ _ ٢٤٣ أرنولد توينبي . مكتبة الأنجلو ١٩٦٣م .

**ثالثاً** : أن زرادشت مزج بين الإله " مازدا " وبين الخير توحيداً جعلهما اسمين لمسمى واحد ، وهو بهذا جعل الخير هو قلب الديانة " الزرادشتية " الذي أعلن زرادشت أنه سيعم الكون كله عندما تسود الفضيلة وينهزم إله الشـــر " أهرمان " الذي هو العدو الأوحد لأهـورا [١] .

ونحن من جانبنا نرى أنه إذا كانت الزرادشتية قد تميزت بهذه المميزات على نحو ما يذهب الدكتور " غلاب " وغيره ، فإن بعض الديانات الوضعية قد تميزت بمميزات لا تظهر جلية في " الزرادشتية " – من هذه الديانات المصرية القديمة والصينية خاصة في جانب السلوك على أن هذه المميزات إن اعتبرناها كذلك – ليست نتاجاً عقلياً بشرياً وإنما هي من آثار الوحي الذي نزل من عند الله على أنبياء تلك الأمم مصداقاً لقوله تعالى ( **إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ) [٢] .

---

[١] انظر بتصرف الفلسفة الشرقية للدكتور غلاب ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .
[٢] سورة فاطر الآية : ٢٤ .

## استمرار عبـــادة النار بعد زرادشـــت :

مر بنا أن الفرس قبل " زرادشت " وفي حياته كانوا يقدسون النار واستمروا بعده في عبادة النار ، وكان أتباعه رجالاً ونساءً يحضرون أعواداً من الخشب لهذه النار، ويذهبون معاً إلى معابد النار ، غير أن التردد على معابد النار أخذ يأخذ نوعاً من التميز والطبقية ، فالخواص يترددون على النار يومياً للعبادة وتقديم الطقوس ، أما العوام فإنهم يكتفون بالذهاب إلى معابد النار مرة واحدة فـــي الأسبـوع [١] .

وهذا ما جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن " الزرادشتية " ديانة وثنية لعبادتهم النار في حياة زرادشت وبعد وفاته وفضلاً عن عبادة النار فإن أتباعه قد قضوا على ما يظن أنه من التوحيد عند " زرادشت " . فقد حولوا تعاليمه إلى صورة وثنية محضة وأقاموا بيوت النيران ، وصوروا الإله في صورة محسوســة .

يذكر ديورانت : " أنه لما انتقل الدين في الأيام الأخيرة من الأنبياء إلى الساسة ( لا ندري من هم هؤلاء الأنبياء ؟ ! ) صُور الإله الأعظم في صورة ملك ضخم ذي جلال مهيب ، وكان بوصفه خالق العالم وحاكمه يستعين بطائفة من الأرباب الصغار – كانت تصور أولاً كأنها أشكال للطبيعة من النار والماء والشمس والقمـــر " [٢] .

---

[١] التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ص ٣٤٨ .

[٢] قصة الحضارة [ ٢ / ٤٢٨ ] وانظر الفصل لابن حزم .

لقد تحولت صفات الإله إلى كائنات خالدة مقدسة تخلق العالم وتسيطر عليه وتنظمه وتحكمه بأمر " زرادشت " إله الآلهـة أو الإله الأعظـم ، ولذلك تحول مذهب التوحيد ( مع تحفظنا على هذا التوحيد كما مر ) إلى فكـرة التعدد وفسرت الصفات على أنها أشخاص نظراً لأنهم كانوا يعبدون أرباباً قبل ذلك [١] .

ونظراً لهذا التعدد فقد أقاموا المعابد على سفوح التلال وأشعلوا فيها النيـران المقدسة قرباناً للإله " أهورا مازدا " وبالغوا في تقديس هذه النيران حتـى عبدوها ، وقد مر أن " زرادشت " كان يعتبرها رمزاً للإلـه [٢] .

---

[١] حضارة مصر والشرق القديم ص ٤٤٨ وقصة الحضارة [ ٢ / ٤٢٩ ] .
[٢] انظر بتصرف الشرق واليونان القديمة [ ١ / ٢٢٥ ] والتفكير الديني قبل الإسلام ص ٣٤٦

**إحياء نظام الطبقات وعبادة السلف :**

كانت الديانة " الزرادشتية " هي السائدة في فارس وما حولها في عهد الكيانيين ، فلما انتصر الإسكندر ( ٣٣١ ق . م ) كان ذلك ضربة لهذه الأسرة ثم انتعشت في عهد الأسرة الساسانية التي بدأت حكمها ( ٢٢٦ ق . م ) وظلت هي ديانة الفرس إلى الفتح الإسلامي [١] .

وفي عهد الساسانيين خاصة " أزدشير " بعث نظام الطبقات ، فجعل الملوك في طبقة ، ومن دونهم في طبقات وهم على الترتيب :

**الأولى** : الأساورة ، وأبناء الملوك .

**الثانية** : أهل الشرف والعلم .

**الثالثة** : المضحكون وأهل الهزل والبطالة .

أما الرعية فقسمهم إلى أربع طبقـــات :

**الأولى** : الأساورة أصحاب الحروب وقواد الجيوش .

**الثانية** : النساك وسدنة بيوت النار .

**الثالثة** : الأطباء والكُتاب والمنجمون .

**الرابعة** : الزراع والمُهَانْ وأضرابهـــم [٢] .

وكان " أزد شير " هذا باعتباره من طبقة الملوك إذا وضع التاج على

---

(١) فجر الاسلام ص ١٠٣ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي [ ١ / ٢٦٦ ] بتصرف .

رأسه يحظر على كل من في المملكة أن يضع على رأسه شيئاً ، وإذا تختم بخاتم مُنع أهل المملكة أن يتختموا بمثله ، وكان إذا لبس ثياباً حرَّم على أهل المملكة أن يُرى على أحد مثله [١] .

ويبدو أن هذه الطبقية أثرت تأثيراً بالغاً في المجتمع .

يقول المستشرق " أرتهرسين " مبيّناً تأثير الطبقية في المجتمع : " كان المجتمع الفارسي مؤسساً على اعتبار النسب والحرف وكان بين طبقات المجتمع هوة سحيقة لا يقوم عليها جسر ولا تصل بينها صلة وكان من قواعد السياسة الساسانية أن يقنع كل واحد بمركزه الذي منحه نسبه ولا يستشرف لما فوقه وكان ملوك إيران لا يولون وضيعاً وظيفة من وظائفهم وكانت العامة طبقات متميزة بعضها عن بعض تميزاً واضحاً وكان لكل واحد مركز محدد في المجتمع [٢] .
وعندنا نموذجان يستدل بهما على هذا :

<u>النموذج الأول</u> : أن بلاد فارس حكمها فترة الملوك البارثين وكانوا غير أصلاء في الملك . وقد حاول أبناء القرن الأول القيام بحركة إصلاح ديني ، ولكن وضاعة مكانة الطبقة التي ينتمون إليها قد أحبطت مساعيهم فكانت الشعائر الدينية منذ ذلك الحين مهملة فتُركت النار المقدسة تنطفئ . ولا شك أن الفرس تصوروا أن إرجاع الملكية القديمة نصف الإلهية من شأنه أن يحيي من جديد العظمة القومية [٣] .

---

[١] عهد أزدشير ص ١٣ ـ ١٤ بتصرف .
[٢] انظر : إيران في عهد الساسانيين نقلاً عن الوحدانية ص ٦٣ .
[٣] انظر الوحدانية ص ٦٣ نقلاً عن علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ص ١٦ .

**النموذج الثاني** : ورد في الأخبار الطوال " للدينوري " وفيه أن إمرأة عجوزاً تعرضت " لبهرام " وكان ملكاً على الفرس ، فقال لها " ما عندك من الخبر أيتها العجـــوز ؟

قالت : الخبر عندنا أن " كسرى " أقبل بجيش فحارب " بهرام " فغلبه واسترد منه ملكه قال " بهرام " : فما قولك في " بهرام " ؟ قالت : جاهل أحمق يدعي الملك وليس من أهل بيت المملكة . قال " بهرام " : " فمن أجل ذلك يشرب القرع ويتنقل من المنسف فجرى مثلاً في العجم يتمثلون بـــه " (١) .

وهذان النموذجـــان يحددان نظرة الفرس إلى ملوكهم . ويبدو أن هذه النظرة هي التي أدت إلى عبادة الأسلاف قبل " زرادشت " وبعده على اعتبار أن دماً إلهياً يجري في عروقهم . واعتقد أهل فارس أن في مقدور السلف الراحل أن يغدق النعم على سلالته ، واعتبروا أن السلف قديسين يحفون بعرش الإله الأعلى " أهورا مازدا " وهم بشفاعتهم عنده يستطيعون أن يستنزلوا الخير على ذريتهـــــم (٢) .

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري أحمد بن داود ص ٩٤ . دار المسرة بيروت .

(٢) تاريخ العالم . مقالة بعنوان الفرس وامبراطورية الشاه الأعظم [ ٢ / ٤٤٣ ] وقصة الحضارة [ ٢ / ٤٣٢ ـ ٤٣٣ ] .

## هل الزرادشتيـــة هي المجوســية ؟

يفرق " الشهرستاني " بين المجوس الأصلية ، والمجوس اللاحقة الثنوية والفرق بينهما أن المجوس الأصلية زعموا أن الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين ، بل النور أزلي والظلمة محدثـــة [١] .

وبناءً على هذا فإن " زرادشت " يقول : إن النور أصل . وقال : وجوده حقيقي . أما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة إلى الشخص فأبدع النور وحصل الظلام تبعاً [٢] . وتبعاً لهذا فإنه يكون من المجوس الأصليين على رأي الشهرستاني .

ومن خلال نصوص أصحاب المقالات يُفهم أن " الزرادشتية " هي " المجوسية " يقول ابن حزم : " أما المجوس فإنهم معترفون مقرون بأن كتابهم الذي فيه دينهم أحرقه " الإسكندر" إذ قتل " دارا بن دارا " وأنه ذهب منه الثلثان أو أكثر وأنه لم يبق منه إلا أقل من الثلث وأن الشرائع كانت فيما ذهب " [٣] .

هنا النص على أن المجوس معترفون بحرق كتابهم . ثم يأتي نص يتضح فيه أن هذا الكتاب كتاب " زرادشت " .

يقول ابن خلدون : " ومعلوم من كافة المؤرخين أن الكتاب الذي أحرقه الإسكندر هو كتاب " زرادشت " " [٤] . وبهذا الربط بين المجوس وكتابهم يفهم أن زرادشت وأتباعـــه من المجوس .

---

[١] الملل والنحل ص ٢٣٤ .
[٢] نفسه ص ٢٣٨ .
[٣] الفصل لابن حزم [ ١ / ٩٣ ] .
[٤] تاريخ ابن خلدون [ ٣ / ٣٢٤ ] .

وابن تيمية يقول عن المجوس " القائلين بالنور والظلمة . متفقون على أنّ النور خير يستحق أن يُعبد ويُحمد ، وأن الظلمة شريرة تستحق أن تـــذم وتلعـــن " [١]

وفحوى " الزرادشتية " هي تقديس النور وذم الظلمة وبناءً عليه فالزرادشتية من المجوس .

**يقول الدكتور محمود بن الشريف** : " إن المجوسية هي الزرادشتية بعد أن أصابها التحريف وبعد أن تغالى أصحابها فقدسوا النار ثم عبدوها ، فالمجوسية هي الزرادشتية المحرفـــة بعد أن دخلها ما دخلها من مظاهر الوثنية " [٢] .

---

[١] **كتاب الإيمان من مجموع الفتاوي** [ ٧ / ٧٥ ] .
[٢] **الأديان في القرآن** ص ٨٦ – ٨٧ .

**المعـــاد عند المجوس :**

يقرر الشهرستاني أن مسائل المجوس كلها تدور حول قاعدتين اثنتين :

**الأولى** : بيان سبب امتزاج النور بالظلمـــة .

**الثانية** : بيان سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدأ ، والخلاص معاداً (١) . غير أنهم في غاية الاضطراب في تصوير الامتزاج والخلاص – على ما مـــر – .

اعتقد المجوس في البعث واعتقدوا أنه لابد لأرواح الموتى بأجمعها أن تجتاز قنطرة تصفى فيها ، وهذه القنطرة مهمتها أن تميز الأرواح الطيبة من الأرواح الخبيثة ، والروح الطيبة تهب عليها ريح طيبة والروح الخبيثة تهب عليها ريح منتنـــة (٢) .

واعتقدوا أيضاً في الحساب فتصوروا أن هناك معبراً للحساب والحكم الأخير ، وعلى باب هذا المعبر يوجد ثلاثة قضاة بينهم " مبتهرا " وهناك ينصب ميزان توضع في إحدى كفتيه حسنات الميت وفي الآخر سيئاته ، وبناءً على ترجيح إحدى كفتي الميزان يكون الثواب والعقاب للميـــت (٣) .

وكانوا يعتقدون في النعيم والعذاب ، وعندهم أن النار هي عذاب الذين اقترفوا السيئات ، ومن ثم اعتقدوا أن الروح الخبيثة لا تستطيع أن تجتاز المعبـــر

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٣٣ نشر دار الفكر .
(٢) الفلسفة الشرقية ص ١٩٥ وقصة الحضارة [ ٢ / ٣٤٢ ] .
(٣) الفلسفة الشرقية ص ١٩٦ .

فتتردى في درك الجحيم الذي يتناسب مع ما اقترفت النفس من الذنوب .

" والشهرستاني " علل سبب عبادة المجوس للنار ظنهم أن التعظيم ينجيهم في المعاد من عذاب النار [١] .

أما تصورهم للنعيم فكانوا يعتقدون أن أنفس الأبرار الذين حرصوا على أحكام النبي ( زرادشت ) ووصاياه فيهم يجوزون سالمين إلى السماء [٢] .

وهناك من يذهب إلى أن الأخيار يذهبون إلى النور حيث يستقبلهم " أهورا مازدا " بعد أن يمروا في وسط العمل الصالح والقول الخير ، والفكر الطيبة ، وهناك يستمتعون في كنف " مازدا " بالسعادة الأبدية في الجنة التي تقع أقصى شرقي جبال " هيرا ميرا زيته " ويرتفع الجبل متجاوزاً النجوم إلى عالم النور اللانهائي ويصل إلى جنة " أهورا مازدا " في منزل النغم وهو أم الجبال وقمته سابحة في العزة الأبدية لا ليل ولا برد ولا مرض [٣] .

وهذا التصور فيه كثير من الانحراف ، وإن كنا نميل إلى أن له أصل سماوي انحرف عنه ، فالفرس كأمة مثل بقية الأمم أرسل الله إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين وكانت دعوة الرسل جميعاً إلى عبادة الله وحده – وإلى المصير الذي يرجع إليه الناس بعد الحياة – يقول تعالى ( **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ) [٤] .

---

[١] الشهرستاني ص ٣٥٦ .
[٢] أديان العالم : حبيب سعد ص ١٦٦ .
[٣] الأسفار المقدسة ص ١٤٦ ، ١٤٧ نقلاً عن القصة في الأدب الفارسي .
[٤] سورة النحل الآية : ٣٦ .

## المبحث الثالث

## العقائد الفارسية بعد زرادشت ( الثنوية )

تبعاً للتفريق بين المجوس الأصلية ، والمجوس اللاحقين أو الثنوية .. فإننا سنتناول أهم العقائد التي سادت في بلاد الفرس بعد " زرادشت " ، وتكاد المصادر تجمع على أن الثنوية ، هم المرقونية ، والديصانية ، والمانوية ، والمزدكيـــــة [١] .

وقد ذكر " ابن النديم " في الفهرست المانوية ، والمرقونية والديصانية . ورتبهم بقوله : " ظهر ماني في السنة الثانية من ملك الغالوس الرومي ، وظهر مرقيون قبله بنحو مائة سنة ، وظهر ابن ديصان بعد مرقيون بنحو ثلاثيـــــن سنـــة [٢] .

أما " الشهرستاني " فقد ذكر الثنوية وبدأهم " بماني " مع أنه عند عرض المرقونية من الثنوية وقولهم في النور والظلمة . قال " وهذا على خلاف ما قالته المانوية وإن كان ديصان أقدم منه وإنما أخذ مذهبه منه [٣] .

وبناءً على هذا يتفق " الشهرستاني " مع " ابن النديم " على أن الديصانية أقدم من المانوية ، وينفرد ابن النديم بتحديد المدة بينهما بقوله : " وظهر ابن ديصان بعد مرقيون بنحو ثلاثين سنة . وعليه يكون مرقيون متقدم على ديصان والمانوية بعد الديصانية على اعتبار أن ماني رد على ابن ديصان كما يقرر ابن حزم [٤] .

---

[١] انظر المحصل للرازي ص ١٣٨ ـ ١٤٠ .
[٢] الفهرست لابن النديم ص ٣٩٩ .
[٣] الملل والنحل ص ٢٥٣ .
[٤] الفصل لابن حزم [ ١ / ٩١ ] .

ويبدو أن الذين كتبوا في الملل والنحل بدأوا بالمانوية نظراً لأن آراءها الأكثر شهرة وكان لأفكارها نوع من الشيوع في المجتمع الإسلامي فيما عرف بالزندقة . وسوف نبدأ بما استخلصناه من كتب أصحاب المقالات والملل والنحل .

## أولاً : المرقــونية :

المرقونية قبل الديصانية وهم طائفة من النصارى أقرب من المنانية والديصانية .. زعمت المرقونية أن الأصلين القديمين النور والظلمة ، وأثبتوا أصلاً ثالثاً هو الجامع وعدوه سبب الامتزاج ، وعندهم أن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع ، وذهبوا إلى أن الجامع دون النور في المرتبة ، وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم (١) ، وزعموا أن خلق جميع الأشياء لا يخلو من ضرر وهو مُجَلٍّ عن ذلك ، واختلفوا في الكون الثالث ما هو فقالت طائفة هو الحياة وهو عيسى ، وزعمت طائفة منهم أن عيسى هو زعيم ذلك الكون الثالث ، وهو الصانع للأشياء بأمره وقدرتــه (٢) .

وفلسفوا قولهم بالمعدل الجامع حيث ذهبوا إلى النور هو الله تعالى لا يجوز عليه مخالطة الشياطين . وأيضاً فإن الضدين يتنافران طبعاً ويتمانعان ذاتاً ونفساً ، فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما ؟ فلابد من معدل يكون بمنزلة دون النور وفوق الظلام فيقع الامتزاج منه ، وهذا خلاف ما قالته المانوية وخلاف ما قاله " زرادشت " ، فإنه يثبت التضاد بين النور والظلمــة ويثبت المعدل كالحاكم على الخصمين الجامع بين المتضادين لا يجوز أن يكون طبعه وجوهره من أحد

---

(١) الملل والنحل ص ٢٥٣ والفهرست ص ٤١٢ .
(٢) الفهرست ص ٤١٢ .

الضديـــن (١) .

وكما يقول ابن النديم " فإن الحكايات عنهم مختلفة وكثيرة الاضطراب ولهم كتاب يختصون به يكتبون به ديانتهم ولمرقيون كتاب إنجيل سماه ولأصحابه عدة كتب غير موجودة إلا حيث يعلم اللـــه ، وهم يتسترون بالنصرانيـــة . وهم بخراسان كثير ، وأمرهم ظاهر كظهور المنانية " (٢) .

ونلاحظ أن المرقونية وآراءهم لم تحظ بالعناية كغيرها من العقائد الفارسية فالقدامى يؤخرونها في الذكر عن المانوية والديصانية والمزدكيـــة ، كالشهرستاني في الملل والنحل . أما المُحْدَثُونْ ، الذين كتبوا عن عقائد الثنوية فإنهم أهملوها تماماً ، كما هو الحال في دائرة المعارف الإسلامية مادة " ثنوية " (٣) . وكذلك أهمل ذكرها الدكتور " علي سامي النشار " في كتابه نشأة التفكير الفلسفي في الإســـلام (٤) .

ومرد هذا إما لعدم شيوع أفكارهم أو لأنها مضمنة عند غيرهم كالمانوية والديصانية .

(١) الملل والنحل ص ٢٥٣ .
(٢) الفهرست ص ٤١٢ .
(٣) دائرة المعارف الإسلامية مادة ثنوية [ ٦ / ٢١١ ] .
(٤) نشأة التفكير الفلسفي [ ١ / ١٩٤ ] .

## ثانياً : الديصـــانية :

تنسب هذه الفرقة إلى رجل يقال له " ديصان " وقد سُمي باسم نهر وُلد عليه وهو قبل " ماني " كما يذهب ابن النديم في الفهرست (١) .

وأكد ذلك ابن حزم في الفِصَلْ حيث خطَّأ من قال إنه كان تلميذاً " لماني " . يقول ابن حزم " لأن ماني ذكره في كتبه ورد عليه " (٢) .

ويعتقد ديصان وأتباعه بقدم النور والظلمـــة إلا أنهم يذهبون إلى أن النور حي والظلمة ميتـــة (٣) .

**وقد افترقت الديصانية إلى فرقتيـــن :**

فرقة زعمت أن النور خالط الظلمة باختيار منه ليصلحها فلما حصل فيها ورام الخروج عنها امتنع ذلك عليه .

وفرقة أخرى زعمت أن النور أراد أن يرفع الظلمة عنه لما أحس بخشونتها ونتنها شابكها بغير اختياره .

وزعم بعض الديصانية أن الظلمة أصل النور ، وأن النور حي حساس عالم وأن الظلمة ضد ذلك فيها عَمىً غير حاسة ولا عالمة فتكَاْرَهَاْ (٤) .

وزعموا أيضاً أن النور إنما دخل أجزاء الظلام اختياراً ليصلحها ويستخرج منها أجــزاءً صالحة ، فلما دخل تشبث به زماناً فصار يفعل الجــور

---

(١) **الفهرست ص ٤١٢ .**
(٢) **الفصل في الملل والنحل ص ٩١ .**
(٣) **الفصل لابن حزم [ ١ / ٩١ ] واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ١٤٠ .**
(٤) **الفهرست ص ٤١٢ .**

والقبيح اضطراراً لا اختياراً ، ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه إلا الخير المحض والحسن البحت ، وفرق بين الفعل الاضطراري وبين الفعل الاختيـــاري [١] .

إن الامتزاج وحدوث الخلاص ، أمر غير واضح عند الديصانية ، والبعض يذهب إلى أن الفكرة غير واضحة عند ديصان نفسه ولكن رئيس الفرقة بعد أبيه أدخل مزيجاً من الغنوصية والأفلاطونية والرواقية في المذهب [٢] .

وكما نرى تتداخل الآراء وتتخبط خبط عشواء ما تقوله جماعة تبطله الأخرى . ومع ذلك فقد انتشرت آراء " ديصان " واعتقد فيها جماعة ليس في بلاد الفرس فحسب ، وإنما في الصين وغيرها .

يقول ابن النديم : " وأصحاب ابن ديصان بنواحي البطائح كانوا قديماً وبالصين وبخراسان أمم منهم متفرقون لا يعرف لهم مجمع ولا بيعة ، ولابن ديصان كتاب : النور والظلمة وكتاب روحانية الحق كتاب المتحرك والجماد وله كتب كثيرة لم تقع إلينا " [٣] .

---

(١) الملل والنحل ص ٢٥٢ .

(٢) نشأة الفكر الفلسفي [ ١ / ١٩٤ ] .

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٤١٢ .

## ثالثاً : المانـــوية :

تنسب المانوية إلى ماني بن فتّق بابك بن أبي " برزام " من الحسكانية وقد ظهر ماني في السنة الثانية من ملك الغالوس الرومي واستخرج " ماني" مذهبه من المجوسية والنصرانية وكذلك القلم الذي يكتب به الديانات مستخرج من السرياني والفارسي ، وجوّل ماني البلاد قبل أن يلقى " سابور " نحو أربعين سنة (١) . وقد حدد المؤرخون نشأته حوالي ٢١٥ م أو ٢١٦ م وكان المؤرخون يطلقون عليه " ماني " الزنديـــق (٢) .

وقد نُسب إليه الكثير من الأمور الخارقة للعادة على غرار ما يفعله الغلاة بعظمائهم . فمن الأشياء التي تُروى عنه وعن أبيه منها : أن أباه كان يتعبد في بيت للأصنام فسمع هاتفاً ينادي عليه بألا يأكل لحماً وأن لا يشرب خمراً وأن لا ينكح بشراً ، وكانت زوجته حاملاً " بماني " وزعموا أنها كانت ترى منامات حسنة وكانت ترى في اليقظة كأن آخذاً يأخذه فيصعد به إلى الجو ثم يرده ، وربما أقام اليوم واليومين ثم يُرد ثم إن أباه أنقذه فحمله إلى الموضع الذي كان فيـــه فربي معه وعلى ملته ، وكان " ماني " يتكلم على صغر سنه بكلام الحكمة فلما تم له اثنتا عشرة سنة أتاه الوحي على قوله : من ملك جنان النـــور وهو اللـــه – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً – (٣) .

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ٣٩٨ – ٣٩٩ .

(٢) الأخبار الطوال للدينوري ص ٤٧ وانظر الطبري [ ٢ / ٥٠ ] .

(٣) الفهرست ص ٣٩٩ .

**عقيدته ودعوته :**

كانت تعاليم ماني بين الفلسفة الفارسية القديمة ، والمبادئ المسيحية حتى وصفها البعض بأنها زرادشتية معدلة (١) .

فقد ذهب " ماني " إلى أن مبدأ العالم كونين أحدهما نور والآخر ظلمة كل واحد منهما منفصل عن الآخر ، فالنور هو العظيم الأول ليس بالعدد وهو الإله ملك جنات النور ، والنور بصفاته أزلي ومعه شيئان أزليان : أحدهما : الجو . والآخر : الأرض .

أما الكون الآخر فهو : الظلمة وأعضاؤه خمسة : الضباب والحريق ، والسموم والسم ، والظلمة ، والكون النيّر مجاور للسكون المظلم لا حاجز بينهما ، والنور يلقى الظلمة بصفحته ولا نهاية للنور في علوه ، ولا نهاية للظلمة في السفل ، ومن تلك الأرض المظلمة كان الشيطان لا أن يكون أزلياً بعينه ولكن جواهره كانت في عناصره أزلية فاجتمعت تلك الجواهر من عناصره فتكونت شيطاناً (٢) .

**كيفية المزج بين النور والظلمة وخلاص بعضهما من بعض :**

اختلفت المانوية في المزاج وسببه والخلاص وسببه فقال بعضهم : إن النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق لا بالقصد والاختيار وقال أكثرهم إن سبب المزاج أن أبدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض التشاغل فنظرت الروح فرأت النور فبعثت الأبدان على ممازجة النور فأجابتها لإسراعها إلى الشر ، فلما

---

(١) الدين والفلسفة ص ٧٠ .
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٤٠٠ .

رأى ذلك ملك النور وجّه إليه ملكاً من ملائكته في خمسة أجناس من أجناسها الخمسة فاختلطت الخمسة النورية بالخمسة الظلامية فما وجد في العالمَ من منفعة وخير وبركة فمن أجناس النور ، وما فيه من مضرة وشر وفساد فمن أجناس الظلمـــة [١] .

ويرى " ماني " أن هناك وسائل تعين على التخليص والتمييز منها : التسبيح والتقديس والكلام الطيب وأعمال البر فترتفع بذلك الأجزاء النورية في عمود الصبح إلى فلك القمر ولا يزال القمر يقبل ذلك من أول الشهر إلى نصفه فيمتلئ فيصير بدراً ثم يؤدي إلى الشمس إلى آخر الشهر وتدفع الشمس إلى نور فوقها فيسري ذلك في العالم إلى أن يصل إلى النور الأعلى الخالص [٢] .

**موقفه من الأنبياء والشرائع :**

ومع هذا التخبط الوثني من جانب " ماني " ومتابعته للفكرة السائدة في فارس – أي القول بالثنوية – نرى " الشهرستاني " وغيره يذهب إلى أنه يعتقد في الأنبياء ، فيذكر عنه الشهرستاني قوله : " إن أول من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم أبو البشر ثم بعث شيثاً بعده ثم نوحاً بعده ثم إبراهيم بعده عليهم الصلاة والسلام ثم بعث بالبددة إلى أرض الهند " وزرادشت " إلى أرض فارس ، والمسيح كلمة الله وروحـــه إلى أرض الروم والمغرب ، " وبولس " بعد المسيح إليهم ثم يأتي خاتم النبيين بعده إلى أرض العرب [٣] .

[١] الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٤٨ .
[٢] نفســه .
[٣] الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٤٨ .

وابن حزم يذهب إلى أن " ماني " وأتباعه لا يعرفون من الأنبياء إلا عيسى عليه السلام ويقولون بنبوة " زرادشت " ، وهذه التعبيرات من عند الشهرستاني لأن " ماني " كما يذكر ابن النديم " ينتقص سائر الأنبياء في كتبه ويزري عليهم ويرميهم بالكذب ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم ، بل يقول في مواضع من كتبه أنهم شياطين فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصارى فيزعم أنه شيطـــان " [١] .

وأميل إلى ما ذكره ابن النديم لأن هذا الكلام من " ماني " عن الأنبياء عليهم السلام يتسق مع مذهبه واتجاهه الوثني . أما ما ذكره الشهرستاني فلا يتناسب مع عقيدة " ماني " ومذهبه خاصة وأنه قد أتى بتعاليم تخالف تمام المخالفة لتعاليم الأنبياء لا سيما أقربهم إلى عصره وهو المسيح عليه السلام .

وقد ابتدع " ماني " عبادات وشرائع مثل فرضه صيام سبعة أيام في كل شهر ، وفرض صلوات أربع أو سبع ، وقد أورد " ابن النديم " ما يقال في تلك الصلوات [٢] ، وفرض على أصحابه العشر في الأموال كلها ، والصلوات الأربع في اليوم والليلة ، والدعاء إلى الحق وترك الكذب ، والقتل ، والسرقة ، والزنا ، والبخـــل ، والسحر ، وعبادة الأوثان وأن يأتي على ذي روح ما يكره أن يؤتى إليه [٣] ، وماني وأتباعه لا يرون الذبائح ولا إيلام الحيوان [٤] .

---

[١] الفهرست ص ٤٠٧ .
[٢] الفهرست ص ٤٠٥ – ٤٠٦ .
[٣] الملل والنحل ص ٢٤٩ .
[٤] الفصل [ ١ / ٩١ ] .

**المعاد عند " ماني " وأتباعه [ التناسخ ] :**

يقسم " ماني " الناس إلى ثلاثة أقسام :

**قسم يسميه بالصديقين** وهؤلاء إذا حضرتهم الوفاة أرسل إليه الإنسان القديم إلهاً نيراً بصورة الحكيم الهادي ومعه ثلاثة آلهة ، ومعهم الزكاة واللباس والعصابة ، والتاج وإكليل النور ويأتي معهم البكر الشبيهة بنسمة ذلك الصديق ويظهر له شيطان الحرص والشهوة والشياطين فإذا رآهم الصديق استغاث بالآلهة التي على صورة الحكيم والآلهة الثلاثة فيقربون منه . فإذا رأتهم الشياطين ولت هاربة وأخذوا ذلك الصديق وألبسوه التاج والإكليل واللباس ، وعرجوا به في عمود السبح إلى فلك القمر وإلى الإنسان القديم وإلى أم الأحياء وإلى ما كان عليه أولاً في جنان النور ، ثم يبقى بعد ذلك الجسد ملقى فتجذب منه الشمس والقمر والآلهـة النيرون القوى التي هي الماء والنار والنسيم فيرتفع إلى الشمس ويصير إلهاً ويقذف باقي جسده التي هي الظلمة كلها إلى جهنم [١] .

**أما القسم الثاني** : فهم القابلون للدين والبر الحافظون لهما وللصديقين ، فإذا حضرت وفاته حضر أولئك الآلهة الذين حضروا للصديقين ، وحضرت الشياطين . واستغاث بما كان يعمل من البر وحفظ الدين والصديقين فيخلصونه من الشياطين ، فلا يزال في العالم شبه الإنسان الذي يرى في منامه الأهوال ويغوص في الوحل والطين . فلا يزال كذلك إلى أن يتخلص من نوره وروحـه ويلحق بملحق الصديقين ويلبس لباسهم بعد المدة الطويلة من تردده [٢] .

---

[١] **الفهرست ص ٤٠٨ .**
[٢] **نفسـه**

**أما القسم الثالث** : وهم الأئمة الحريصون على الشهوة فإذا حضرتهم الوفاة ، حضرتهم الشياطين ، فأخذوه وعذبوه وأروه الأهوال فيحضر أولئك الآلهة ومعهم اللباس الطيب فيظن الإنسان الأثيم أنهم جاءوا لخلاصه ، وإنما حضروا لتوبيخه وتذكيره بأفعاله وإلزامه الحجـة في ترك إعانته للصديقين ثم لا يزال يتردد في العذاب إلى وقت العاقبة فيلقى في جهنم [١] .

ثم يلخص ابن النديم أحوال الناس عند " ماني " فيقول : " فهذه ثلاثة طرق يقسم فيه نسمات الناس أحدها : إلى الجنان وهم الصديقون . والثاني : إلى العالم والأهوال وهم حفظة الدين ومعينوا الصديقين . والثالث : إلى جهنم وهو الإنسان الأثيم " .

**التناسخ عند " ماني " وأتباعـه :**

ونلاحظ أن " ماني " فيما عرضه " ابن النديم " لم يشر صراحة إلى التناسخ وإن كنا نلاحظ هذا التناسخ في القسم الثاني ، لكن ما نسجله هنا هو أن ابن النديم لم يذكر ذلك صراحة عند " ماني " ونفس الشيئ أيضاً نجده عند الشهرستاني [٢] .

ولكن البيروني يذكر صراحة قول " ماني " بالتناسخ بل ويدلنا على المصدر الذي أخذ عنه القول بالتناسخ فيقـــول البيروني : " وكان ماني نُفي من " إيرانشهر " فدخل أرض الهند ونقل التناسخ منهم إلى نحلته وقال في سفر الأسرار " إن الحواريين لما علموا أن النفوس لا تموت وأنها في التردية منقلبـــة

---

[١] الفهرست ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .

[٢] انظر الملل والنحل ص ٢٤٥ ـ ٢٤٩ .

إلى شبه كل صورة هي لابسة لها ، ودابة جبلت فيها ومثال كل صورة أفرغت في جوفها سألوا المسيح عن عاقبة النفوس التي لم تقبل الحق ولم تعرف أصل كونها فقال أي نفس ضعيفة لم تقبل قراءتها من الحق ، فهي هالكة لا راحة لها وعنى بهلاكها عذابها لا تلاشيها " [١] .

ونلاحظ أن البيروني يذكر عن " ماني " قوله بالتناسخ ويحدد الرسالة التي فيها القول بالتناسخ وهي " سفر الأسرار " وبالنظر في رسائل ماني نجد هذه الرسالة يذكرها " ابن النديم " في فهرسته منسوبة " لماني " مع رسالة أخرى هـي " الهند العظيمة " وهذه مرجحات لقول " ماني " بالتناسخ على اعتبار أن الهند هي أرض التناسخ . وهو قد سافر إلى الهند كما يذكر البيروني [٢] . وله رسالة في عظمتها كما يذكر ابن النديم [٣] .

ويقرر البغدادي قول " ماني " بالتناسخ فيذكر أن ماني يقرر أن أرواح أهل الضلال إذا فارقت الأجساد وأرادت اللحوق بالنور الأعلى رُدت منعكسة إلى السفل فتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن تصفو من شوائب الظلمة ثم تلتحق بالنور العالـي [٤] .

وهنا تظهر وثنية " ماني " وتأثره بوثنية الهنود الذين يعتبر القول بالتناسخ علماً عليهم .

---

(١) البيروني ص ٤١ – ٤٢ .
(٢) انظر تحقيق ما للهند من مقولة ص ٤١ – ٤٢ .
(٣) الفهرست ص ٤١٠ .
(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٧١ .

**عوامل انتشار المانـوية :**

على الرغم من التلفيق الواضح والاضطراب الظاهر في تعاليم " ماني " إلا أن دعوته انتشرت واستمرت فترة تهيمن على بلاد فارس يلخص أسباب ذلك الدكتور عبد المعطي بيومي في النقاط التاليـة :

**أولاً** : كانت الدولة " الساسانية " في عهد " شابور الأول " تطمح في تكوين إمبراطورية قوية على غرار إمبراطورية العصر الإخميني التي جعلت الزرادشتية دينها الرسمي . ومن ثم جعل " شابور الأول " يفكر في دين يجمع عليه شعوب إمبراطوريته ، ولما لم تكن الزرادشتية بما آلت إليه تصلح لذلك ، فقد شجع ماني لنشر دينه الجديد من حيث أنه شبع بالروح المجوسية وتعاليم زرادشت التي ألفها أهل فارس .

**ثانياً** : من العوامل التي ساعدت على انتشار المانوية : الفراغ الفكري والديني الذي عاشت فيه بلاد فارس وإيران في تلك الفترة من القرن الثالث الميلادي خاصة بعد أن اندثرت تعاليم " زرادشت " [١] .

**نهايـة ماني ودعوته :**

إن دعوة " ماني " بما يعتريها من عوار فكري لا يمكن أن تثبت أمام الأفكار الدينية القديمة في بلاد فارس ولا أمام الدعوات الجديدة التي لا تلبث أن تظهر الواحدة تلو الأخرى ولأن كل هذه الدعوات إنتاج فكري بشري لا يكتب لها البقاء طويلاً وهذا ما حدث مع " ماني " ودعوته . وكانت نهايته هي القتل .

---

[١] جذور الفكر المادي ص ١٣٣ – ١٣٤ .

يذكر الدينوري أن " هرمز بن شابور " أخذ ماني فأمر به فسلخ جلده وحشاه بالتبن وعلقه على باب مدينة جنديسابور [١] . فهي إلى اليوم ( زمن الطبري ) يدعى باب " ماني " وتتبع أصحابه ومن استجاب له فقتلهم جميعا [٢]

وهناك رواية أخرى تصور مقتل " ماني " على هذا النحو : " وحدثت مناظرة بين " بهرام بن بهرام " و" ماني " في مسألة تحريم النكاح وقطع النسل فقال له الموبذ : أنت الذي تقول بتحريم النكاح لتستعجل فناء العالم ؟ فقال له " ماني " : واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل بما هو فيه من الامتزاج .

فقال له " بهرام " : فمن الحق الواجب أن يعجّل لك هذا الخلاص الذي تدعو إليه وتعان على إبطال هذا الامتزاج المذموم . فانقطع ماني ، فأمر بهرام بقتـــــل " ماني " فقتل هو وجماعة من أصحابـــه " [٣]

وهكذا نرى أنه بأقل القليل من التفكير ينقطع صاحبه ومؤسسه ، فما بالنا بالأتبـــاع ؟ ..

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري ص ٤٧ .
(٢) الطبري [ ٢ / ٥٠ ] .
(٣) الفصل لابن حزم [ ١ / ٩١ ] .

**المزدكيـــــة :**

تنسب المزدكية إلى مزدك الفارسي ، وُلد في أواخرالقرن الخامس ٤٨٧م وقتل في سنة ٥٢٣ م . وقد ظهر في أيام " قباذ " والد " أنوشروان " ، ودعـا " قباذ " إلى مذهبه فأجابه ، واطلع أنو شروان على خزيه وافترائه فطلبه فوجده فقتله [١] .

**عقيـــدته :**

ينقل " الشهرستاني " عن " الوراق أن قول " المزدكية " كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين إلا أن " مزدك " كان يقول : إن النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق . والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى .

ونلاحظ أنه أدخل عامل الصدفة في موضوع الخلق مخالفاً " زرادشت "و"ماني ".

**يقول الشهرستاني :** " ومذهبه في الأصول والأركان أنها ثلاثة : الماء والأرض والنار ، ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير ، ومدبر الشر فما كان من صفوها فهو مدبر الخير ، وما كان من كدرها فهو مدبر الشر .

وروي عنه أن معبوده قاعد على كرسيه في العالم الأعلى على هيئة قعود خسرو في العالم الأسفل ، وبين يديه أربع قوى : التمييز ، والفهم ، والحفظ والسرور [٢] .

غير أن آرائه العقدية لم يكتب لها الشهرة ولم تؤخذ مأخذ الجـد مـــن

---

[١] **انظر الفهرست ص ٤١٦ والأخبار الطوال ص ٦٧ ونشأة الفكر الفلسفي [ ١ / ١٩٧ ] .**

[٢] **الملل والنحل ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ .**

أهل فارس – لأنه لم يجدد شيئاً يذكر – والأهم أن آرائه الاجتماعية هي التي كتب لها الذيوع والانتشار في بلاد فارس وما جاورها في حياته وبعد مماتــه .

**شيوعية المال والنساء عند مزدك :**

إذا كان " مزدك " لم يكن له أي تأثير في النواحي العقدية فإن الأمر مختلف تماماً من الناحية الاجتماعية خاصة إذا علمنا أنه دعا إلى شيوعية المال والنساء الأمر الذي سيجعل الكثيرين يتبعونه .

يذكر " الشهرستاني " أن " مزدك " أحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ " (١) .

وعلة تلك الإباحة أنه كان ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال أباحهما .
يقول : إن المال شركة بين الخلائق فكلهم عباد الله تعالى وكلهم بنو آدم فلماذا يظلون معوزين يجب أن ينفقوا من مال بعضهم البعض كيلا يفتقر أحد إلى شيئ من الأشياء أو يعجز عنه ولكي تتساوى أحوالهم جميعاً (٢) .

أما شيوعية النساء فإن مزدك قال لأتباعه " نساؤكم كمتاعكم فتشاركوها كما شاركتم أموالكم بينكم فمن اشتهى امرأة وطئها فإنه لا غيرة ولا حمية في ديننا " (٣) وذلك كيلا يحرم أحدٌ من لذات الدنيا وشهواتها ، وقد اشترع " مزدك" شرعة جديدة وهي أنه لو استضاف رجل عشرين رجلاً بداره فطعموا وشربــوا

---

(١) الملل والنحل ص ٢٥٠ .
(٢) سياسة نامة ص ٢٣٨ نقلاً عن غلاة الشيعة ص ٥٩٢ .
(٣) نفسه .

ووطئوا امرأته واحداً بعد واحد لم يجد الرجل في ذلك حرجاً ولا عاراً " [١] .

ومما ساعد على إنتشار دعوة " مزدك " دخول الملك " قباذ " فيه . فقد زعم بعض الفرس أن هذا الملك لم يتبعه إلا اضطراراً حين لم يأمن كثرة متبعيه على ملكه ، وزعم بعضهم أن مزدك كان من الدهاة ، ولما علم أن قباذ تعجبه امرأة كانت تحت ابن عمه احتال بابتـــداع هذا المذهب وإظهاره فسارع " قباذ" إلى قبوله ، وقد زين أتباع " مزدك " " لقباذ " هذا المذهب وقالوا له إنك أثمت فيما عملت به فيما مضى ، وليس يطهرك من ذلك إلا إباحـــة نسائك [٢] .

وقد شرع الناس يدخلون في دين " مزدك " إن رغبة فيه وميلاً ومراءاة ومجاراة للملك إذ أنهم لما رأوا الملك دخل في دينه قَبِلَ القاصي والداني دعوته . لأنه وكما يقول ابن النديم " أمرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والأكل والشرب والمواساة والاختلاط ، وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرم والأهل لا يمتنع الواحد منهم من حُرمة الآخر ولا يمنعه ، ومع هذه الحال فيرون أفعال الخير ، وترك القتل وإدخال الآلام على النفوس ، ولهم مذهب في الضيافات ليس هو لأحد من الأمم إذا أضافوا الإنسان لم يمنعوه من شيئ يلتمسه كائناً ما كان " [٣] .

ودعوة هذا شأنها تجذب الطغام من الناس لأنها " تزين للناس ركوب المحارم وتحرض السُّفل على ارتكاب السيئات ، وتسهل للغصبة الغصب وللظلمة الظلم [٤] .

---

[١] المصدر السابق ص ٥٩٣ .
[٢] انظر الآثار الباقية للبيروني ص ٢٠٩ والطبري [ ٢ / ٩٢ ] .
[٣] الفهرست ص ٤١٦ .
[٤] الأخبار الطوال ص ٦٧ .

وكما يقول الدكتور عبد المعطي بيومي " ولم يكن غريباً أن تجد مثل هذه الدعوة الشاذة قبولاً عند طوائف الناس المختلفة .

فعامة الشعب رأوا فيها سبيلا إلى إشباع حرمانهم والخلاص من الفقر والضيق أمـــا الطبقة الارستقراطية فوجدت في المزدكية فرصة لإشباع المزيد من الشهوات خاصة وأنهم يستطيعون بإمكاناتهم التفنن في إرضاء هذه الشهوات [١].

ولكن مهما انتشرت شيوعية " مزدك " ووجدت لها أتباعاً فإنها تحمل جرثومة فنائها ونهايتها . بعد أن تسبب الدمار وهلاك الحرث والنسل والفساد في الأرض وهذا ما انتهت إليه المزدكـــية .

ويبدو أن " قباذ " الملك الفارسي غضب عليه الفرس غضباً شديداً وهموا بقتله الأمر الذي أدى إلى هربه ثم عودته مرة أخرى على رأس جيش كبير ولما عاد ، كف عن نصرة مذهب " مزدك " . ثم بعد ذلك ملك " كسرى أنو شروان " بعد أبيه وأمر بطلب مزدك حتى وُجد فأمر بقتله وصلبه وقتل من كان معه [٢] .

---

(١) جذور الفكر المادي ص ١٣٥ .
(٢) الأخبار الطوال ص ١٧ .

## هل المجوس أهل كتـــاب ؟

ورد لفظ المجوس في آية واحدة في القرآن الكريم في قول الله تعالى : **( إن الذين آمنوا والذين هادوا والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيئ شهيد )** (٢) .

وقد عدهم " الزمخشري " من أصحاب الأديان الباطلة ، قيل الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن (٣) ، وعدهم " الشهرستاني " ممن لهم شبهة كتـــاب (٤) . وقد وردت أحاديث في معاملتهم معاملة أهل الكتاب في الجزية . وقد أورد ابن قدامة والصنعاني عدة أحاديث في معاملتهم ، منهـا :

ما رواه البخاري عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه " أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها يعني الجزية من مجوس هجر " رواه البخاري وله طرق في الموطأ فيها انقطـاع (٥) .

وقد استدل بعض الفقهاء بجواز أخذ الجزية منهم لما أخرجه " الشافعي " من حديث عبد الرحمن بن عوف أن " عمر بن الخطاب " ذكر المجوس فقال : لا أدري كيف أصنع في أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـــول : " **سنوا بهم سنة أهل الكتاب** " والحديث أخرجه مالك في الموطأ .

---

(٢) سورة الحج الآية : ١٧ .
(٣) الكشاف [ ٣ / ٨ ] .
(٤) الملل والنحل ص ٢٣٠ – ٢٣١ .
(٥) سبل السلام للصنعاني [ ٤ / ١٣٥ ] .

**يقول ابن قدامة :** " وإذا ثبت هذا الحديث فإن أخذ الجزية من أهل الكتابين والمجوس ثابت بالإجماع لا نعلم فيه خلافاً فإن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على ذلك وعمل به الخلفاء ومن بعدهم من غير نكير ولا مخالف [١] .

**ومما ينبغي التنبيه عليه :** أنهم يعاملون معاملة أهل الكتاب في أخذ الجزية فقط وليس في نكاح نسائهم ولا أكل ذبائحهم .

**يقول ابن قدامة :** " وليس للمجوس كتاب ولا تحل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم ، نص عليه أحمد وهو قول عامة أهل العلم لأن قوله : سنوا بهم سنة أهل الكتاب ، دليل على أنهم لا كتاب لهم وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم حقن دمائهم وإقرارهم بالجزية لا غير وذلك أنهم لما كانت لهم شبهة كتاب غُلب ذلك في تحريم دمائهم فيجب أن يغلب حكم التحريم لنسائهم وذبائحهم " [٢] .

---

(١) المغني لابن قدامة [ ١٣ / ٢٠٥ ] .
(٢) انظر المغني لابن قدامة [ ٩ / ٥٤٧ – ٥٤٨ ] وانظر الإمتاع لطالب الإقناع للحجـــاوي [ ٣ / ٣٤٤ ] .

## تعقيـــب

### ويشمل أولا :

### ( منهج القرآن الكريم في إثبات الوحدانية وتنزيه الله عن الشريك )

رد القرآن الكريم على المشركين متتبعاً آلهتهم التي يعبدونها من دون الله مبيناً أنها لا تملك النفع ولا الضر ، ولا الموت ولا الحياة ولا النشور . وبالنسبة للعقائد الفارسية فلأن الإسلام جاء وهذه العقائد كانت موجودة ، وموطنها على رمية بحجر من بلاد العرب فإن هذه العقائد .. بيّن القرآن الكريم بطلانها . وقد استنبط علماء العقيدة بعد ذلك الدلائل العقلية الإلزامية . من آيات القرآن الكريم . في تفنيد عقائد المجوس بوجه عام سواء السابقين أو اللاحقين على اعتبار أن القاسم المشترك بينهما القول بإلهين أحدهما للنور والآخر للظلمة ، على خلاف حول قدمهما كما تدعي الثنوية أو قدم إله النور وحدوث إله الظلام – كما يقول المجوس – ( زرادشت ومن قبله ) .

يقول تعالى ( وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون ) [١] . هذه الآية في التوحيد ونفي الآلهة بوجه عام ، وإثبات الوحدانية لله سبحانه . ولما كان القول بإلهين متساويين في الوجوب والقدم لم يقل به أحد من العقلاء [٢] . ولذلك كرر الله عز وجل النهي من اتخاذ إلهين ، لتأكيد التنفير عنه وتكميل وقوف العقل على ما فيه من القبح ، وجاء ذكر الإثنين بعد الإلهين ، لأن قوله " إلهين " لفظ واحد يدل على أمرين ثبوت الإله ، وثبوت التعدد . فإذا قيل : لا تتخذوا إلهين ، لم يُعرف من هذا اللفظ أن النهي وقـــــع

---

[١] سورة النحل الآية ٥١ .
[٢] حتى الثنوية لم تثبت لأحدهما ما ثبت للآخر . انظر نهاية الإقدام ص ٩١ .

عن إثبات الإله أو عن إثبات التعدد أو عن مجموعهما . فلما قال : " لا تتخذوا إلهين اثنين " ثبت أن قوله " لا تتخذوا إلهين " نهي عن إثبات التعدد فقط لأن الإلهية ، والإثنينية متضادتان ومراد الآية التنبيه على حصول المنافاة والمضادة بين الإلهية ، وبين التثنيــة [١] .

وهذه الآية تلفت الأنظار والتأمل والتدبر في ألفاظها وتركيب معانيها . فإن التعبير في تلك الآية . يأخذ أسلوب التقرير والتكرير . فيتبع كلمة إلهين بكلمة اثنين ، ويتبع النهي بالقصر إنما هو إله واحد . ويعقب على النهي والقصر بقصر آخر " فإياي فارهبون " دون سواي بلا شبيه أو نظير ، ويذكر الرهبة زيادة في التحذير لأن الوحدانية هي القضية الرئيسية في العقيدة كلها [٢] .

وتأتي آيات أخرى تؤكد قضية التوحيد وتقرره في النفس البشرية وتناقش المشركين في اتخاذهم آلهة – مع الله – يقول سبحانه : **( أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون )** [٣] .

أثبت الله سبحانه في هذه الآيات الوحدانية ، ثم عقب بقوله " لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون " وذلك لأن الثنوية والمجوس أثبتوا الشريك لله . وقالوا رأينا في العالم خيراً وشراً وفاعل الخير خيِّر ، وفاعل الشر شرير ، ويستحيل أن يكون الفاعل الواحد خيِّراً وشريراً في آن واحد . فلما كان مدار أمر القائليـــن

---

[١] **التفسير الكبير للرازي [ ١٠ / ٤٩ ] وانظر الكشاف للزمخشري [ ٢ / ٤١٣ ] .**
[٢] **في ظلال القرآن [ ٤ / ٢١٧٦ ] .**
[٣] **سورة الأنبياء الآيات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ .**

بالشريك على طلب اللميَّة ( أي العلة ) . بين الله الدليل على التوحيد ثم بيَن النكتة الأصلية في الشبهة وهو أنه لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون " [١]

وهناك من الآيات الكثير . استنبط منها علماء العقيدة الدلالة على الوحدانية . وهي مع كونها دلائل سمعية إلا أنها في الوقت نفسه برهانية استدلالية من تلك الآيات قوله ( **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ) [٢] . لما وصف الله سبحانه نفسه بكونه الأول وجب أن يكون فرداً سابقاً لا شريك له . وقوله تعالى ( **كل شيئ هالك إلا وجهــه** ) [٣] فيها حكم بهلاك كل من سوى الله ومن عدم بعد وجود لا يكون قديماً ، ومن لا يكون قديماً لا يكون إلهاً ..

وقوله تعالى ( **قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم بــه** ) [٤] . وهذا الحصر يدل على نفي الشريك ، وقد صرح اللـــه تعالى في كتابه العزيز بقوله ( **لا إله إلا هو** ) [٥] في نحو سبعة وثلاثين موضعاً ، وصرح بالوحدانية في آيات كثيرة منها ( **وإلهكم إله واحد** ) [٦] وقوله ( **قل هو الله أحــد** ) [٧] وكل ذلك صريح في الوحدانية ونفي الشريـــك [٨] .

---

[١] الرازي [ ١١ / ١٥٥ ] .
[٢] سورة الحديد الآية ٣ .
[٣] سورة القصص الآية ٨٨ .
[٤] سورة الأنعام الآية ٤٦ .
[٥] سورة البقرة الآية ٢٥٦ .
[٦] سورة البقرة الآية ١٦٣ .
[٧] سورة الإخلاص الآية ١ .
[٨] انظر الرازي [ ١١ / ١٥٢ - ١٥٣ ] .

**معيار الخير والشر ليس من البشر وإنما يُرجع فيه إلى الله :**

إن وثنية فارس المتمثلة في اتخاذهم إلهين أحدهما للظلمة ، والآخر للنور لاستحالة الخير والشر من إله واحد . والقرآن الكريم يقضي على هذا الشرك بالقضاء على أصله بإبعاد العقل الإنساني نهائيا عن هذا الميدان . إن الذين قالوا بشر وخير في العالم حَكَمُوا عقولهم في القول بأن هذا شر وهذا خير . ولكن العقول قاصرة في هذا الميدان لأنها ليست على غاية الإدراك لعواقب الأمور (١) وآيات القرآن جاءت حاسمة في هذا الأمر .

يقول تعالى ( **كُتب عليكم القتال وهو كُره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ) (٢) .

وهناك مجموعة من الحوادث ظاهرها الشر ولكن وراءها الخير كل الخيـــر . وأفضل تطبيق على هذا : قصة موسى مع العبد الصالح ، وكما يقول أستاذنا الدكتور بركات دويدار " لو أخذنا مثلاً حادثة السفينة ، ونقلناها إلى البيئة الفارسية لكانت شراً في أول الأمر خيراً في النهاية ، والنظر في ذلك للمجمـــــوع " (٣) .

ومن هنا كانت نسبة الأمور كلها إلى الله ( **قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً** ) (٤) .

---

(١) **الوحدانية ص ٣٨٥ .**
(٢) **سورة البقرة الآية ٢١٦ . انظر تفسير ابن كثير [ ١ / ٢٥٢ ] .**
(٣) **الوحدانية ص ٣٨٥ .**
(٤) **سورة النساء الآية ٧٨ .**

## ثانيا : علماء الكـــلام ومناقشتهم لعقائد الفرس

احتلت عقائد الفرس مساحة كبيرة من ردود علماء الكلام بكافة اتجاهاتهم على تلك العقائد من ثنوية ومجوسية . وهذا ما حدا بالبعض إلى القول بأن الرد على المجوس من أسباب نشأة علم الكـــلام . وذلك لأن عقائد الفرس ظلت موجودة حتى بعد ظهور الإسلام ودخوله أرض فارس .

يقول الدكتور علي سامي النشار : " قاوم المتكلمون الأوائل الطوائف الغنوصية مقاومة عنيفة بل يكاد يكون السبب الحقيقي لقيام المتكلمين هو مناهضة الغنوص ويقرر عالمنا المعاصر " محمد بن زاهد الكوثري " أن سبب قيام المعتزلة هو مدافعة الثنوية والزنادقة ، والرد عليهم " [١] .

هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإن بعض الفرس دخلوا الإسلام ولكنهم كادوا له عن طريق عقائدهم السابقة التي كان لها وجود ظاهر في الأفراد وفي بعض الحركات التي واجهت الدولة الإسلامية الأمر الذي جعل العلماء ينشطون في الرد عليهم وجعل الخلفاء يوجهون جهدهم للقضاء على هذه الحركات التي اتخذت من العقائد الفارسية القديمة دافعاً وموجهاً لها . وإن كان التركيز من جانب علماء الكلام على " المانوية " و " المزدكيـــة " .

وسوف نتناول ردودهم بوجه عام ونُفرد ما يحتاج إلى إفراد .

أولاً : ما احتج به " الثنوية " من نسبة الحوادث . إلى النور والظلمة لاستحالة صدور الشر عن الخيِّر والخير عن الشرير . والقول بقِدم النور والظلمة

---

[١] نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام [ ١ / ٢١٠ ] .

يقال لهم : لِمَ زعمتم بأن العالم بأسره من أصلين قديمين أحدهما نور ، والآخر ظلام ؟ فإن قالوا لأننا وجدنا جميع الأجسام لا تنفك من أن تكون من ذوات الظل أو ليست من ذوات الظل فوجب أن يكون سائر أجسام العالم لا تنفك من نور وظـــــلام .

فيقال لهم : ولم قلتم إن سائر الأجسام لا تنفك من ذلك ؟ ألأنكم لم تجدوا خلافه ؟ ولم زعمتم أن القضاء على غائب الأمور وما نأى عن العالم عنا بمجرد الشاهد والوجود ثابت صحيح ، وأن الشيئ دال على مثله وكل ما انفصل عنه ؟ فلا يجدون في ذلك سوى الدعـــوى .

ثم يقال لهم : ما أنكرتم على اعتلالكم من أن يكون العالم بأسره من طبائع أربع حرارة وبرودة ، ويبوسة ورطوبة على ما قاله الأطباء وأصحاب الطبائع ؟ فإن مروا على ذلك تركوا دينهم ، وإن راموا فصلاً لم يجدوه ؟ وإن هم قالوا : إن سائر الأجسام المركبة من الطبائع الأربع لا يخلو أن تكون ذوات ظل أو ليست بذوات ظل فوجب أنها من نور وظلام . قيل لهم وجميع الأجسام التي لا تنفك من أن تكون ذوات ظل أو ليست بذوات ظل لا تخلو ولا تنفك من الطبائع الأربع فوجب أن يكون النور والظـــلام مركباً من الطبائع الأربع ولا فصل في ذلك " (١) .

**ثانياً** : أما قولهم بأن النور خير والظلام الشر . ويحيلون أن يصدر أحدهما عن الآخر . فقد فند مزاعمهم القاضي عبد الجبار فيذكر أن الظلمة قد تؤدي إلى الخير والشر ، وكذلك النور لأن الظلمة قد تكون سباً لوقوع الواحد في

---

(١) التمهيد للباقلاني ص ٧٠ - ٧١ . وانظر الداعي إلى الإسلام ٢٣١ - ٢٣٢ لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي . ط أولى ١٩٨٨ م دار البشائر الإسلامية بيروت .

البئر . ونزول الضرر العظيم به وسبباً لاستتار الآخر بالظلمة وتخلصه من مكروه ظالم وقتله ، وكذلك نور النهار وضوؤه قد يكون سبباً لظهور من يطلبه العدو فيؤدي ذلك إلى قتله ولنجاة الواحد من مهلكة وقع فيها . فقد صح كون كل واحد منهما سبباً للخير والشر ، وذلك يبطل أصل قولهم .

والواقع المشاهد يؤيد جواز أن يكون الإنسان فاعلاً للخير والشر . كما أن الإنسان هو الفاعل للحركة والسكون ، ثم إن كون الشيئ خيراً وشراً ينبني على اختلاف صفته وقد يكون جنسه جنساً واحداً لأن اللذة من جنس الألم وإنما تختلف حالهما بالشهوة ونفور النفس ، ولذلك يألم أحدنا بإدراك ما يلتذ به صاحبه وقد يألم بالشيئ ويلتذ بمثله في حالين . وبالجملة فمتى صح وقوع الجنس والجنسين من الفاعل الواحد والخير والشر قد يرجعان إلى الجنس الواحد . فيجب صحتهما من الفاعل الواحـــد [١] .

ثالثاً : أما قولهم بتمازج النور والظلمة . بعد تباينهما . وهذه الفكرة من أضعف النقاط عند المجوس والثنوية . يعرض " الباقلاني " عدة اعتراضات على تباين الأصلين وامتزاجهما تدحض قولهم يقول : " خبرونا عن الأصلين : ألأنفسهما تباينا في الأزل أم لمعنى هو تباينٌ " فإن قالوا لأنفسهما قيل لهم : فيجب أن يكونا متباينين في حال امتزاجهما لوجود أنفسهما في حال التباين .

فإن قالوا : تباين الأصلين معنى ثالث لا يقال هو هما أقروا بقِدم أصل ثالث هو تباين ونور ، وظلام وتركوا التثنية ، ويقال لهم خبرونا عن التباين : أبطل لما جاء الامتزاج أم لا ؟ فإن قالوا : بطل . قيل لهم : فإذا جاز عدم القِدم الذي هـــو

---

[١] انظر المغني للقاضي عبد الجبار [ ٥ / ٣٠ – ٣٣ ] .

التباين وبطــلانه لعلة ما . فلِمَ لا يجوز بطلان النور والظلام القديمين وعدمهما لعلة ما وسبب يقتضي ذلك . فإن مروا على ذلك تركوا دينهم وَإن أبوه لم يجــدوا فصــلاً [١] .

رابعاً : أما " المرقونية " الذين قالوا بأن الأصول ثلاثة : نور ، وظلام ، وأصل ثالث معدّل بينهما ليس بنور ولا بظلام . فيقال لهم : لِمَ قلتم ذلك ؟ فإن قالوا : لما ثبت من تضاد النور والظلام وتنافيهما فلابد من أصل ثالث معدّل بينهما . يقال لهم : فهل يخلو ذلك الأصل من أن يكون من جنسهما أو من جنس أحدهما أو مخالفاً لهما جميعاً ؟ فإذا قالوا : لا . قيل لهم : فإن كان من جنسهما فلابد أن يكون نوراً ظلاماً وألا يعدّل بينهما وذلك محال وإن كان من جنس أحدهما فكيف يعدل بينهما وهو ضد للآخر ؟ وكيف لم يحتج غلى معدل ؟ وكيف لم يستغن الأصل الذي هو من جنسه عن معدل مثله ؟ وإن كان مخالفاً لهما احتاج إلى معدّل بينه وبينهما كحاجتهما لموضع اختلافهما وتضادهما [٢] . ثم يتسلسل الأمر على ما لا نهاية وذلك محــال [٣] .

خامساً : إن " الديصانية " الذين زعموا أن الظلام مواتٌ فعَّال للشر بطبعه دون النور . فإن قالوا : لأنهما لما كانا خلافين بأنفسهما وكان النور حياً بذاته استحال أن يكون الظلام حياً بذاته . ويقال لهم لِمَ أنكرتم أن يكون الظلام محدثاً لأنه لما ثبت من قولكم إن النور قديم لذاته استحال أن يكون الظلام قديماً بذاته ونفسه ، ولا جواب لهم عن ذلك [٤] .

---

[١] انظر التمهيد للباقلاني ص ٧٢ – ٧٣ . والمغني [ ٥ / ٢٨ – ٢٩ ] .
[٢] التمهيد ص ٧١ .
[٣] الداعي إلى الإسلام ص ٢٣٤ .
[٤] التمهيــد ص ٧٣ .

ويجب على قول " الديصانية " أن لا يصح في الحي منا أن يريد الشر لأن عندهم أن النور لا يصح ذلك عليه لأنه خير والظلمة موات لا يصح كونها مريدة وفي وجودنا دلالة على فساد قولهـــم (١) .

**سادساً** : إن " ماني " على الرغم من اعتناقه النصرانية ، إلا أنه لم ينتفع بهما فيما يتصل بعقيدة الألوهية ، لأنه يقول بالثنوية وهذا ما لم تقل به الكتب المبدلة والمحرفة لدى اليهود والنصـــارى (٢) . ويقال " للمانوية " في تصورهم للصراع بين النور والظلمة ما قيل لأسلافهم من " الزروانية " و " الكيومرثية " بأن هذا من الخرافات التي يجب أن لا يتشاغل أحد بها . والردود السابقة على " الثنوية " ردود على " المانوية " .

**سابعا** : أما ما ذهب إليه " ماني " من القول بالتناسخ فقد ألزمه مذهبه هذا إلى ضرورة التخلص من الجنس البشري وإبادة النسل بواسطة حظر الزواج وغير ذلك من وسائل التخريب والتدمير التي عمل على نشرها (٣) . على أن فكرة التناسخ الذي أخذها " ماني " من الهند . متناقضة في نفسها وعليها إلزامات لا يستطيع التناسخيون الرد عليها . من هذه الإلزامـــات :

" أنه لا يوجد في العالم كله شيئان يشتبهان بجميع أعراضهما تشابهاً تاماً من كل وجه وهذا واضح وظاهر من اختلاف الصور والهيئات " (٤) . ثم إن القول بالتناسخ يستلزم أن يكون للجسد الواحد نفسان وذلك محال (٥) .

---

(١) المغني [ ٥ / ٦٦ – ٦٧ ] .
(٢) انظر الوحدانية ص ٦٠ .
(٣) نفســه ص ٥٩ .
(٤) الفصل لابن حزم [ ١ / ٧٨ ] .
(٥) نهاية الإقدام للشهرستاني ص ٣٩٥ – ٣٩٦ .

**ثامناً** : أما " المزدكيـــة " الذين قالوا إن النور يفعل على القصد ، والظلمة تفعل بالخبط ، فإن الدليل قام على أن النور ليس بفعَّال ولا الظلمة وأن الفاعل هو القادر وأنه لا فصل بين هذا القول وبين من قلبه فجعل القصد للظلمة دون النار .

أما إباحة الأموال والنساء لمنع القتل فجهالة لأن إباحة ذلك يؤدي من القتال إلى ما لا يؤدي إليه حظـــــره [١] .

ثم إن التفاوت بين الخلق مقصود من الله ، لكي تسير أمور الحياة وينتفع البعض من البعض ويسخرُ الناس بعضهم بعضاً يقول تعالى ( **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خيرٌ مما يجمعون** ) [٢] .

ويقول سبحانه ( **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً . ومن يفعل ذلك عدواناً وظلما فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً** ) [٣] .

---

[١] المغني [ ٥ / ٦٤ – ٦٥ ] .
[٢] سورة الزخرف الآية ٣٢ .
[٣] سورة النساء الآية ٢٩ . وانظر التنبيه والرد ص ٩١ .

## الفصــل الثالث

## البـــــــــــوذية

تمهيــد :

تعتبر الهند مرتعاً خصباً لكثير من الديانات التي اختلط فيها الحق بالباطل وبناءً على تعدد الديانات تعددت مظاهر العبادات للآلهــة المختلفــة .

يقول العقاد : " اشتملت الديانة الهندية على أنواع شتى من الآلهة التي تمثل قوى الطبيعة المختلفة مثل السحاب ، والريح ، والنار ، والبحــار " (١) .

وأقدم ديانة في " الهند " هي ما تعرف " بالبرهمية " التي أطلق عليها هذا الاسم ابتداء من القرن الثامن . ق . م – نسبة إلى " براهما " الذي يمثل القوة العظيمة السحرية الكامنة ، التي تطلب كثيراً من العبادات – كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابيــن (٢) .

ولقد عرف المسلمون " الهند " ودياناتها منذ زمن بعيد ، وألــف " أبو الريحان البيروني " كتابه " تحقيق ما للهند من مقولة " وهو يُعد من أدق الكتب التي نقلت عقائد الهنود . وذلك لأن " البيروني " عاش في الهند وعرف لغتها السنسكريتية وناقش الهنود ، وفحص النصوص وامتاز بالجدة والاتجاه نحو الموضوعية في المعرفة والكتابة والنظر (٣) .

---

(١) انظر : " الله " للعقاد ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) أديان الهند الكبرى ص ٣٩ . د / أحمد شلبي .

(٣) انظر الدكتور علي زيعور : الفلسفات الهندية ص ٣٩٠ . الناشر دار الأندلس . الطبعة الثانية ١٩٨٣ .

ويبدو أن الديانة " البرهمية " قد مرت بمراحل متعددة ابتداء من عقيدة التوحيد في الألوهية ، والبعث ، في الآخرة ، إلى أن انحرفت هذه الديانة ومالت إلى التعدد في الألوهية والتناسخ الذي يعتبر علماً على الديانة الهندية ، كما يعتبر التوحيد علماً على الإسلام (١) .

وقد نقل لنا " البيروني " طرفا من عقائد " البرهمية " وذكر أن منهم :

**الخـــواص :**

الذين يعتقدون في الله سبحانه وأنه " الواحد الأزلي من غير ابتداء ولا انتهاء ، المختار في فعله ، القادر ، الحكم ، المحيي ، المدبر ، المبقي ، الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد ، لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيئ " (٢) .

تلك هي عقيدة الخواص الذين ينظرون ويتأملون ، فإن " من طالع طرق الجدل والكلام ورام التحقيق الذي يسمونه " سار " فإنه يتنزه عن عبادة أحد مما دون الله تعالى ، فضلاً عن صورته المعمولـــة " (٣) .

هذا ما انتهى إليه " البيروني " بعد دراسته .

ولكن لم تستمر تلك العبادة لله الواحد في الهند طويلاً ، إذ سرعان ما انحرف " البراهمة " إلى عبادة الأصنام ونصبوها وقدموا لها القرابين والطقوس المختلفة .

---

(١) تحقيق ما للهند من مقولة : أبو الريحان البيروني ص ٣٨ .
(٢) نفسه ص ٢٠ وانظر ص ٥٨ ، ٥٩ .
(٣) نفسه ص ٧٨ .

يحكي " البيروني " عن الهنود أنه " كان " لبراهمن " ابن يسمى " نارز " لم تكن له همة غير رؤية الرب وكان من رسمه في تردده إمساك عصا معه إذ كان يلقيها فتصير حية ويعمل بها العجائب ، وكانت لا تفارقه ، وبينما هو في فكره المأمول إذ رأى نوراً من بعيد ، فقصده ونودى منه أن ما تسأله وتتمناه ممتنع الكون فليس يمكنك أن تراني إلا هكذا ، ونظر فإذا شخص نوراني على مثال أشخاص الناس ومن حينئذ وضعت الأصنـــام "[١] .

هذا في الهند ، والبيروني يزعم أن العرب عرفت الأصنام عن طريق الهنود . ولم يكتف العامة بعبادة الأصنام وإشراكها مع الله ، ولكنهم عبدوا مظاهر الطبيعة المختلفة من حيوان ، ونبات ، وجماد ، حتى الثعابين والأفاعي كانت مقدسة عند عوام الهنديين البراهمة [٢] ، بل وصلت النزعة الإلحادية عندهم أن يسأل بعضهم عن وجود آلهته العليا [٣] .

ونحن في دراستنا للأديان الوضعية في الهند سنكتفي " بالبوذية " نظراً لانتشارها في أكثر من ثلاثين قطراً في آسيا [٤] ، ولأن تعاليم " بوذا " لم تنل حظها الوافر من الدراسة والبحث مثل " البرهمية " ، خاصة عند علماء المسلمين القدامى والمحدثيـــن .

---

[١] تحقيق ما للهند من مقولة ص ٨١ .

[٢] انظر : أديان الهند الكبرى ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ٤٦ . وانظر الهند القديمة وحضارتها للدكتور محمد إسماعيل الندوي ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ . وانظر قصة الحضارة ٣ / ٣٠ ، ٣٥ .

[٣] الفكر الفلسفي الهندي ص ٦٧ تأليف راداكرشنا رئيس جمهورية الهند والدكتور شارلز مور – ترجمة ندره اليازجي – الناشر دار اليقظة العربية ١٩٦٧ .

[٤] أديان الهند الكبرى ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

## أولاً : لمحـــة عن بوذا ونشـــأته :

لا تكاد المصادر تتفق فيما بينها حول تحديد زمن ميلاد " بوذا " .. فالبعـــض يرى أنه وُلد في مقاطعة تسمى " ليمبينا " في مدينة " كابيلا فاستو " في بلاد الهند الشمالية على حدود " نيبال " من أسرة عريقة إذ كان والده رئيس قبيلة " ساكيا " أو " شاكيا " .

أما عن عام مولده فالبعض يرى أن عام مولده ٦٥٣ ق . م (١) . والبعض يرى أنه وُلد ما بين ٥٦٣ – ٤٨٣ (٢) . وأتباع " بوذا " يقولون ما بين ٦٢٤ – ٥٤٤ ق . م .

والحق أن مسألة تحديد الميلاد بدقة لن تتحقق لسبب : هو أن الشخصية المختلف حول تحديد عام الميلاد لها لم تكن من الأهمية وقت الميلاد ، مما يجعل التأكد من الميلاد بالضبط أمر عسير وقائم على الظن والتخمين – بعكس تاريخ الوفاة – الذي يعرف بدقة وسهولة لبلوغ صاحبه شأناً ذا بال يجعله محل عناية المؤرخيـــن .

وقد نسجت الأساطير حول " بوذا " وولادته – وقد ذكرت معجزات كثيرة في قصص ميلاده من بينها " أن والدته رأت في المنام أن فيلاً أبيض جاء إلى جانبها وفُسر هذا بأنها سوف تحمل بواحد من البشر يكون له شأن فوق العادة (٣) " .

---

(١) انظر التفكير الديني قبل الإسلام ص ٢٤٠ وقصة الحضارة [ ٣ / ٦٤ ] .
(٢) الفلسفة الشرقية : د / غلاب ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ والتفكير الديني ص ٢٤٠ . والماضي الحي ص ١٨٢ .
(٣) التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

ومعلوم أن هذه الأساطير نسجت من الخيال بعد ذيوع وانتشار " بوذا " ودعوته ، أو بعد وفاته من أتباعه الذين نسجوا حول أمه مجموعة من الأساطير التي تذكر " عذرية أمه وعدم تدنسها وعدم تألمها عند الوضـــع " [١] .

ولعل الأساطير التي نسجت حول " بوذا " وميلاده وحياته تأثر بها النصارى وزادوا على ما جاء به الإسلام في شأن عيسى بن مريم وأمه . وهذا ما دعا الشيخ " أبو زهرة " من عقد جدول المقارنات بين ما نسج حول " بوذا " وما غالى به النصارى في شأن المسيح [٢] عليه السلام .

وإذا كان هناك اختلاف حول تاريخ ميلاده والأساطير التي نسجت حول ميلاده ، فإن هناك شبه اتفاق حول أنه وُلد في بيت غنى وثراء وأبهة وملك ، ولما شب زهد في ملك أبيه وترك الملك ، والجاه ، والسلطان ، وخرج من قصر أبيه هائماً على وجهه ، ويقال إنه رأى بعض المظاهر جعلته يدخل إلى الغابة للتأمل والعزلة والتفكـــر ، ويقال أنه رأى شخص عجوز وآخر يعاني من المرض وجثة تهيأ للإحراق ، وفقير يمد يده إلى الناس بالسؤال ، ففسر هذه الظواهر بأنهـــا تعطيه يقيناً بأن الدنيا ممتلئة بالشقاء والتعاسة والناس ليسوا خالدين ، فالكل يحمل في داخله عناصر الموت ، ولهذا عزم على التخلي عن مظاهر الدنيا كلهـــا ونذر نفسه للزهد ، وكان عمره في ذلك الوقت تسعة وعشرين عاماً [٣] .

---

(١) علي زيعور : الفلسفة الهندية ص ٢٦٣ .

(٢) انظر الديانات القديمة للشيخ أبو زهرة ص ٩ .

(٣) انظر الفلسفة الشرقية ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ . والتفكير الديني قبل الإسلام ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ . ومعالم تاريخ الإنسانية ه ٨ ج . ويلز [ ٢ / ٢٧١ ، ٢٧٢ ] والفلسفة الهندية ص ٢٥٩ ، ٢٦٤ .

**شخصية بوذا بين الحقيقة والأسطورة :**

اختلف المؤرخون حول شخصية " بوذا " كما هو الشأن فيّ غيره من الشخصيات ، فالبعض يرى أن " بوذا " شخصية أسطورية لا وجود لها . والبعض يرى أنه شخصية حقيقية – وجدت في الهند وأثرت بتعاليمها في كثير من الناس .

يلخص هذه الآراء الدكتور محمد غلاب في كتابه الفلسفة الشرقية ، يقول " والذي نميل إليه أن شخصية " بوذا " شخصية حقيقية ، نظراً لوجود مجموعة من البحوث الحديثة لعلد الآثار . الذي كشف عن مدينة " لبوذا " في نفس الموضع الذي أشارت إليه الكتب الدينية – لبوذا وأتباعــه "[١] .

ويكاد يتفق كل من كتب عن " البوذية " أنها تقوم على حقائق أربع وضعها " بوذا " وبنى دعوته عليها ، وهذه الحقائق الأربع تمثل الدعائم التي تقوم عليها البوذيــة .

**الحقيقة الأولى : الولادة هي سبب الشقاء :**

يرى " بوذا " أن الحياة بأسرها كئيبة[٢] ، ويعتبر أن ولادة الإنسان وخروجه إلى الدنيا يعني خروج الإنسان من عالم الروحانيات إلى عالم الحس وهذا الخروج إحدى المصائب التي تصيب الإنسان ، ولذلك فإن الحياة المترتبة على الولادة كلها ألم ، ويتمثل هذا الألم في نظره ، في المرض ، والشيخوخـــة

---

**[١] انظر الفلسفة الشرقية ص ١٢٦ ، ١٢٧ والماضي الحي – ايفار ليستر ص ١٨٢ . ترجمة شاكر سعيد . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ .**

**[٢] حكمة الصين : محمد شبل [ ١ / ٣٢٨ ] .**

والحزن ، والبكاء ، والجبن ، واليأس [١] . كل هذه الأشياء مترتبة على السبب الأول لخروج الإنسان إلى الحياة وهو ولادته وخروجه من بطن أمه .

**الحقيقة الثانية : سبب الألم الشهـــوة :**

والشهوة التي يقصدها " بوذا " تعني الرغبة ، وهوى النفس ، والتلذذ والترف ، وهذه الشهوة تؤدي إلى الولادة من جديد بعد فناء الجسد [٢] .

وهذه الولادة الجديدة " التناسخ " هي التي يعمل " بوذا " جاهداً لتخليص الإنسان منها من خلال تعاليمه . وسوف نتعرض للغموض الذي اكتنف خلاص " بوذا " على الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى .

**الحقيقة الثالثة : القضاء على أسباب الشقاء :**

يرى " بوذا " أن القضاء على أسباب الشقاء يكمن في القضاء على الطمع واجتثاث الشهوة من جذورها ، ولكن ما هو السبيل إلى ذلك ؟ ويجيب " بوذا " : السبيل إلى ذلك هو العزلة ، والخلاص ، وأن نفك أنفسنا مما يشغلها من شئون العيش ، وإنكار الذات مطلقاً ، والتحرر منها بكل الوسائل وقطع جميـــع الصلات عنهـــا [٣] .

ومن أقوال " بوذا " في هذا : لكن هناك طريقاً لإخمــــــاد هذه النـــــار

---

(١) التفكير الديني قبل الإسلام ص ٢٤٩ . وقصة الحضارة [ ٣ / ٧٥ ] والهند القديمة ص ١٤٧ .

(٢) انظر حكمة الصين [ ١ / ٢٢٨ .] والتفكير الديني قبل الإسلام ص ٢٤٩ وقصة الحضارة ٣ / ٧٥ وأديان الهند الكبرى ص ١٤٧ .

(٣) التفكير الديني قبل الإسلام ص ٢٥١ وقصة الحضارة ص ٣ / ٧٥ والهند القديمة ص ١٤٧ وحكمة الصين ١ / ٣٢٨ .

اتبعوا الصراط السوي ، إن هذا الطريق المستقيم لا عوج فيه أما بابه فهو تطهير الذهن ونهايته السلام والحنان لكل الخلق من الأحياء إن الذي يمسك هذا الصراط لا يقول انني أنا وذلك الإنسان غيري ولذلك ففي نفعه خسارتي كلا بل هو يقول " يجب عليّ أنا الذي فزت بالبصيرة أن أشعر بالحب ، والحنان لكل الخلق الذين قيدوا بهذه الأغلال ، أغلال العلة وتعقد الحياة ، ولقد كسرت أنا هذه الأغلال بنفسي بقلع الشهوة من قلبي فيجب عليّ الآن أن أسعى للكل وأجعلهم أحرارا " [١] .

## الحقيقة الرابعة : الخــلاص :

بعد أن يسلسل " بوذا " – أساس دعوته ويبين أن الولادة هي سبب الشقاء بما تقتضيه من الشهوات ، والنزوات . ويوضح كيفية القضاء على الشقاء والحزن الذي يتمثل في العزلة – يوضح الغاية من وراء ذلك كله ، بأنها تكمن في الخلاص الذي يستلزم اتباع السبيل السامية بشعبها الثماني التي تتمثل في :

١ – الرأي الصحيــح .

٢ – القصد الحسن .

٣ – القول الصــدق .

٤ – الفعل الطيب .

٥ – الحياة المثلى .

٦ – العمل المثمــر .

---

[١] أديان الهند الكبرى ص ١٠٨ .

٧ - التفكير السديـــــد .

٨ - التعبد التقـــــي [١] .

هذه هي القيم الثماني التي دعا إليها " بوذا " كطريق للخلاص مع اختلاف في الألفاظ بين من كتبوا عن البوذية ، ونحن نلاحظ أن خلاص النفس هو المحور الأساسي الذي تدعو إليه البوذية ، فهي لا تهتم بالطقوس أو بالعبادة بقدر ما تهتم بالسلوك الذي يتمثل في العزلة والخلوة .

يقول الدكتور غلاب : " إن " بوذا " لم يكلف أتباعه بأي نوع من أنواع العبادة ، وإنما كان كل ما يمتاز به البوذي عن غيره أنه كان أكثر تنسكاً وأقل تعلقاً بالمادة ، وهو لهذا كان نموذجـــاً في حياته العملية لأنه أسرع من خطى السير نحو الخـــلاص " [٢] .

**ولكن مم الخـــلاص ؟ وما هي حقيقة الخـــلاص ؟**

سنحاول أن نجيب عن هذين السؤالين :

**أولاً : مم الخـــلاص ؟**

إن الغاية من تصفية النفس وتهذيبها الخلاص من أي شيئ ؟ من" الكارما" التي تعني " الحكم الواقعي المتعلق بالسبب ونتيجته ، وأن حظ الناس الموجود الآن إنما هو مرتبط بأعمالهم في السابق " [٣] . وهذا يؤدي إلى التناسخ الـــذي

---

**[١] انظر قصة الحضارة [ ٣ / ٧٦ ] وأديان الهند الكبرى ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، الهند القديمة ص ١٤٧ ، ١٤٨ .**

**[٢] الفلسفة الشرقية ص ١٣٢ .**

**[٣] التفكير الديني قبل الإسلام ص ٢٥٦ .**

حاربه " بوذا " بكل الوسائل لأنه اعتبر أن عقيدة التناسخ هي أم الخبائث ، وسبب المشكلات كلها ، من آلام ونحوهـا [١] .

ويبدو أن عقيدة التناسخ كانت تسبب قلقاً متزايداً للهنود ، ولذلك ركـز " بوذا " في دعوته على الخلاص منها .

يقول الدكتور علي زيعور : " لا شيئ أخاف الفكر الهندي ورواده جتى الهوس كالعودة المتكررة إلى الحياة بعد الوفاة ، فالمرء مقيد في حلقات سلسلة من التولد المتكرر ، يولد هنا ، وبعد أن يموت يولد هناك . وهكذا دواليك دون أن يستطيع الفكاك من هذا العالم الحسي " [٢] .

ولذلك فإن أهم ما تعمل له البوذية هو التخلص من تكرار المولد [٣] الذي يعني التناسخ ، والنقطة التي تعتبر ضعفاً واضحاً عند البوذية – هي أن " بوذا " بعد أن هاجم التناسخ ودعا إلى التخلص منه لم يأت ببديل إيجابي للتناسخ كما يبدو لنا من قراءة آثاره ، ولا نعرف على وجه اليقين ماذا كان يعتقد عن الروح بعد مفارقتها للجسـد [٤] .

وهذا الغموض يجعل من البوذية ديانة قائمة على عدم التفكير أو التعرض لحلول المشكلات التي قامت من أجلها .

---

[١] الهند القديمة ص ١٤٨ .
[٢] الفلسفات الهندية ص ٢٧٣ .
[٣] أديان الهند الكبرى ص ١٦٢ .
[٤] الهند القديمة ص ١٤٩ .

**ثانيا : حقيقة الخلاص :**

**إن الغاية العظمى من دعوة " بوذا " لتخليص الجسد من الشهوات والنزوات هو عدم تكرار المولد – والوصول إلى " النرفانا" التي تعني الفناء (١) وعند البوذية تعني " إهلاك كل هوى النفس والشهوة والرغبة حتى لا يحتاج إلى فعل كارما " (٢) .**

ولكن " النرفانا "التي جعلها " بوذا " الغاية الكبرى لدعوته ليست محددة للعالم ومختلف حولها تبعاً لعدم تحديد " بوذا " لها ، فالبعض يرى أن " بوذا " كان يؤمن بنوع من البرودة بعد الموت ، أي لا حياة ، ولا موت ، ولا بعث ، ولا نشور ، ولا ثواب ، ولا عقاب ، وفي نفس الوقت لا عدم ولا فنـــاء . ولكن هذه الحالة في نفس الوقت تكون عظيمة وعميقة وغير محدودة . وهذه الحالة هي التي تسمى في البوذية " نرفانا " (٣) .

وهذا اجتهاد من الاجتهادات المتعددة التي حاولت شرح وتحديد النرفانا وهذا الشرح كمن يفسر الماء بالماء . والبعض الآخر يرى أن " النرفانا " هي " صفو النفس ونشرها في كل أرجاء العالم المحمــوم " (٤) . ولكن صفو النفس وسيلة لا غاية – وماذا بعد صفو النفس ؟ لا جــواب .

وفريق ثالث يذهب إلى أن محاولة فهم " النرفانا " ضرب من العبث وإضاعة الوقت . والسبب في ذلك أن " بوذا " نفسه لم يشرحها ، ولذا فعلينـــــا

---

(١) التفكير الديني قبل الإسلام ص ٢٥٧ .
(٢) نفســه .
(٣) انظر الهند القديمة ص ١٤٩ بتصرف يسير .
(٤) ويلز – معالم تاريخ الإنسانية [ ٢ / ٤٨٩ ] والتفكير الديني ص ٢٥٨ .

أن نتوقف عن شرحها أو تعريفها .

**يقول العلامة " رادها كرشنن " :**

" إن " بوذا " رفض أن يشرح " النرفانا " وعلى هذا لا يجدي أن نحاول فهمها ، بل ربما كانت اللغات البشرية لا تستطيع شرح " النرفانا " [١] .

وهذا الرأي يحاول أن يسلم تسليماً مطلقاً للغاية دون أن يكلف نفسه عناء الشرح والتحليل لها .. ويحاول الدكتور أحمد شلبي أن يوفق بين الآراء المختلفة حول " النرفانا " ومعناها بناءاً على المراجع المتاحة له فيقول :

" ويبدو مما لدينا من مراجع أن " النرفانا " – مرت بمراحل تاريخية فقد كان مفهومها عند " بوذا " أول الأمر – أنها الاندماج في الله والفناء فيه . ولكن أفكار " بوذا " تغيرت بالنسبة للتفكير في الله – فقد تخلى عن القول بأن هناك إلهاً بل أنكر وجود الإله ، وبناءً على هذا لم تعد " النرفانا " الاندماج في الله ، بل اتخذت لها معنى جديداً أو قل أحد معنيين متلاحقين همـــا :

(١) وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه والقضاء على جميع رغباته المادية ، وفناء الأغراض الشخصية الباطلة التي تجعل الحياة بحكم الضرورة دنيئة أو ذليلة مروعـــة ، ويصبح المقياس هو كل من شاء منا أن ينقـــذ حياته عليه أن يخسرها ، وبناءً على هذا يصل الإنسان إلى " النرفانا " وهو في الحياة .

---

[١] نقلاً عن أديان الهند الكبرى ص ١٦١ .

**(٢) إنقاذ الإنسان نفسه من ربقة " الكارما " ومن تكرار المولد بالقضاء على الرغبات ، والتوقف عن عمل الخير والشر .**

وبناءً على هذا ترتبط " النرفانا " بالموت وبالتخلص من هذه الحياة على ألا يعود لها [١] .

وبالنظر فيما ذكره الدكتور أحمد شلبي ، نذكر أن " بوذا " لم يفكر في الإله بداية حتى يكون معنى " النرفانا " هو الاندماج في الله والفناء فيه ، وعلى هذا فالمعنى الأول " للنرفانا " مستبعد من وجهة نظرنا .

أما المعنى الثاني : فإن " بوذا " لا يعترف بالذات – حتى يستريح الإنسان بعد الموت ، وهذا مما يجعل التناقض واضحاً في البوذية التي تنكر الشخصية الإنسانية ولا تعترف بالذات ، أو الروح ، فإن " بوذا " لم يقر بحقيقة إيجابية حول الذات ولا أخلاقاً إيجابية " للنرفانا " [٢] .

ومن وجهة نظر الباحث – فإن الحقيقة والغاية العظمى التي تدعى " بالنرفانا " يرجع عدم وضوحها واضطرابها وتناقضها إلى كونها فكراً بشرياً يخضع لما يخضع له الفكر البشري من القصور وعدم التكامل والوضوح . وهذا ينطبق تماماً على غاية " بوذا " التي يدعو إليها وهي " النرفانا " – ولذلك فإن البوذية من الممكن أن تعد فتحاً في مجال الوجدانيات والفضائل السلوكية فحسب .

---

**(١) انظر بتصرف أديان الهند الكبرى ص ١٦١ ، ويذكر الدكتور أحمد شلبي أن هناك مراجع عديدة باللغات الأجنبية ساهمت في استخلاص هذا الرأي عن النرفانا . انظر هامش ص ١٦١ .**
**(٢) انظر الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٥٤ ، و " الله " للعقاد ص ٨٧ .**

**الألوهية عند بــوذا :**

لعل أهم نقطة في بحثنا عن البوذية ، هو مدى اهتمام " بوذا " بالألوهية وعلاقة دعوته بها . والحق أن هذه القضية شغلت الباحثين كثيراً ، فالبعض يرى أن " بوذا " لم يتحدث عن الإله بسلب أو إيجاب ، فهو لم ينكر ولم يثبت . والبعض الآخر يرى أنه كان إلى جانب الإنكار أقرب . وهذا الاختلاف سببه هو هل البوذية دعوة إصلاحية أو ديانة جديدة ؟

فمن ذهب إلى أنها دعوة إصلاحية ومذهب أخلاقي ، لم ينكر على" بوذا " عدم تعرضه للألوهــية .

ومن ذهب إلى أن دعوة " بوذا " ديانة جديدة ، وصفه بالإلحاد والإنكار للألوهية . وسنتعرض لمن ذهب إلى أن " بوذا " لم يتعرض للألوهية بسلب أو إيجاب . وأيضاً للذين يذهبون إلى أن " بوذا " أنكر الألوهية . ولم يعترف بها ورفض لأتباعه أن يشغلوا أنفسهم بها .

**أولاً : الفريق الذي يرى أن " بوذا " لم يتحدث عن الإله بسلب أو إيجاب :**

على رأس هذا الفريق من الباحثين الشيخ " أبو زهرة " والشيخ " إسماعيل الندوي " من المسلمين ، " وويلز " من الغربيين .

يقول الشيخ أبو زهرة : " إن " بوذا " لم يتعرض للبحث في **الألوهية** بسلب أو إيجاب ، وأن مذهبه إصلاحي اجتماعي خلقي أكثر منه ديني ، ولذا لم يتعرض للاهوت ، وما ورد عنه من عبارات تفيد الصمت عن الحديث في الألوهيــة – إنما هي عبارة شاك متحير لا عبارة منكر جاحد " (١) .

---

(١) الديانات القديمة ص ٦٩ ، ٧٠ بتصرف .

هذا النص نرى فيه الشيخ " أبو زهرة " يدافع عن " بوذا " فهو يعتبر أن صمته في الحديث عن الألوهية لا يدل على الإنكار ، وأن ما ورد من عبارات عنه تبين أنه كان شاكاً متحيراً ، لا منكراً ، وسوف نوضح وجهة نظرنا فيما ذهب إليه " أبو زهرة " ، وغيره بعد عرض وجهة نظر هذا الفريق .

ويرى الدكتور إسماعيل الندوي ، أننا لا نرى في تعاليم " بوذا " ومبادئه أثراً يدل على الإيمان بالإله الواحد ، أو عدة آلهة ، وهذا الأمر يذهب بنا إلى كثرة الظنون حول شخصيته ، مما دعا بعض الباحثين أن يصفه بأنه كان وجودياً ملحـداً .

ويدافع إسماعيل الندوي عن " بوذا " فيقول :

" إن هذه التهمة وجهت إلى " بوذا " ظلماً وزوراً لأنه لا يوجد نص صريح يدل على انكاره الله ، بل كل ما تراه هو موقف الصمت الرهيب والسكوت الكامل إزاء الله ، لا نفي ولا إثبـات " (١) .

ويرى " ويلز " في معالم تاريخ الإنسانية " أن البوذية قبل كل شيئ ديانة خلق وسلوك ، لا ديانة طقوس وقرابين ، ولم تكن لها معابد ، ولما لم تكن لها قرابين لم تكن لها هيئة مقدسة من الكّهان ، وكذلك لم يقم لها أي لاهوت ، وقد وقفت موقفاً محايداً من آلهة الهند ، فلا هي أكبرتها ، ولا هي اعترفت بها ، ولا هي أنكرتها ، بل غضت الطرف عنها جميعـاً " (٢) .

---

(١) انظر الهند القديمة – حضارتها وديانتها ص ١٤٩ ، ١٥٠ .
(٢) هت . ج . ويلز : معالم تاريخ الإنسانية [ ٢ / ٤٨٦ ] وانظر أيضاً : تاريخ الإسلام في الهند للدكتور عبد المنعم النمر ص ٥٥ الطبعة الأولى ١٩٥٥ . وانظر الفلسفات الهندية : د / علي زيعور ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

" فويلز " يعتبر أن البوذية اتخذت موقف الصمت لا الاعتراف ولا الإنكار .

كانت هذه ملخص آراء الفريق الأول ، ولنا عدة ملاحظات عليها :

(١) أن القول بأن " بوذا " دعوته إصلاحية سلوكية لا عقائدية . لا ينفي عنه المسئولية تجاه الألوهية ، فلو فرضنا أن دعوته لم تكن ديانة فإن أي دعوة لابد وأن توضح موقفها من العقائد الموجـــودة ، فإذا لم توضح فيعني أنها لم تهتم بهذه العقائد ، وعدم اهتمامها يجعلها في موقف الإنكار والجحود أقرب من جانب الإثبات ، والإيمان . وهذا ما ينطبق تماماً على " بوذا " ودعوته .

(٢) أن قضية الألوهية من الأهمية بمكان بحيث أن الذي لا يهتم بها يبذل جهداً في إحلال شيئ آخر بدلاً منها – وهذا ما فعله " بوذا " – وهذا يؤكد لنا أنه كان منكراً للألوهيـــة متغافلاً عنها .

(٣) إن الباحث في البوذية – يرى من ثنايا العبارات التي وردت عن " بوذا " ، الشك واضحاً ، ولا أجد هناك مبرراً يدعو البعض إلى أن شك " بوذا " وحيرته لا يصوران لنا عقيـــدته .

ونحن جدلاً نفرض أن شك " بوذا " وحيرته كانت مرحلة من المراحل . ولكن لم نجد يقيناً وصل إليه " بوذا " مما يؤكد لنا أنه ظل على شكه الذي أدى به إلى الإنكار المتمثل في عدم اهتمامه بالله والدعوة إليه ، وحث تلاميذه على عدم الخوض في كل ما هو غيبي .

**ثانيا : الفريق الذي يرى أن بوذا أنكر الألوهيـــة :**

يتزعم هذا الفريق من المسلمين الدكتور أحمد شلبي ، ومن الغربييـــــن " وول ديورانت " في قصة الحضارة .

**يقول الدكتور أحمد شلبي** : " اتجه " بوذا " إلى جانب الإنكار أكثر من اتجاهه إلى جانب الإثبات ، فقد وقف في إحدى خطبه يسخر ممن يقولون بوجود الإله ، وكان مما قاله في ذلك : إن المشايخ يتكلمون عن الله ولم يروه – وجهاً لوجه ، كالعاشق الذي يذوب كمداً وهو لا يعرف من هي حبيبته ، أو كالذي يبني السلم وهو لا يدري أين يوجد القصر ، أو كالذي يريد أن يعبر نهراً فينادي الشاطـــئ الآخر ليقدم له " (١) .

ولو صح هذا النص لكان صريحاً في إنكار الألوهية تماماً ، بل والسخرية ممن يعتقد فيها . ولذلك فإن الباحث في البوذية لا يجد أثراً للإيمان بقوة عليا غيبية .

" لا تؤمن البوذية بزمن ابتدأت فيه الحياة ، ولا بزمن تنتهي فيه ، لذلك لا تقول بخالق ، ولا تحتاج إليه إذ لا شيئ يولد ويخلق ، ولا شيئ يزول " (٢) . وهذا بالفعل ما يسيطر على البوذية وتعاليمها .

ويذهب " وول ديورانت " إلى أن " هناك قانون بوذي مكتوب باللغة البالية فيه رسالة تستوقف النظر لعلها قديمة قدم المسيحية ، وتسمى أسئلة الملك " مناندر " وفيها المعلم البوذي " نجاسيتا " .

---

(١) أديان الهند الكبرى ص ١٦٨ نقلاً عن العلامة رادها كرشنن .
(٢) الفلسفات الهندية ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ بتصرف يسير .

يجيب الملك الإغريقي " مناندر " الذي حكم شمالي الهند في مستهل القرن الأول قبل المسيح يقول " نجاسيتا " : " إن الدين لا ينبغي أن يتخذ مجرد وسيلة مزار يلوذ بها المعذبون بل يجب أن يكون معنى الزاهد حتى يبلغ مرحلة القداسة والحكمة دون أن يزعم وجود جنة أو إله لأن هذا القديس ( يقصد بوذا ) يؤكد لنا أنه لا وجود لجنة أو إله " (١) .

وكان من الممكن أن نضرب صفحاً عن هذا النص لجواز أن يكون الأتباع قد أضافوا ما لم يقله " بوذا " ، ولكن وجدنا نصوصاً صريحة منسوبة إلى " بوذا " تؤكد هذا ، مما يجعلنا نتصور أنه قالها .

وينقل لنا " ديورانت " نصاً آخر يبين إلى أي حد ينكر الآلهة ويسخر منهم : " إن القدسية والرضى لا يكونان في معرفة الكون والله وإنما يكونان في العيش الذي يفكر فيه الإنسان ذاته ويبسط كفه للناس إحساناً .

ثم يضيف إلى ذلك تهكماً بشعاً فيقول : إن الآلهة أنفسهم ، لو كان لهم وجود لما كان في وسعهم أن يجيبوا عن أمثال هذه المسائل " (٢) .

والباحث يرى أن " بوذا " قد أنكر الألوهية ورفضها ، وحتى إذا سلمنا بأنه قد سكت عنها فإن الصمت يعتبر إنكاراً ، ولو من طريق غير مباشر .

ومما يدل على أنه كان منكراً للألوهية إنكاره للآخرة وما فيها من ثواب وعقاب . وسنتحدث عن الآخرة عند " بوذا " في كلمة موجزة .

---

(١) قصة الحضارة [ ٣ / ٢٣٠ ] وانظر حكمة الصين [ ١ / ٣٢٩ ] .

(٢) قصة الحضارة [ ٣ / ٧٨ ] وانظر المناقشات التي أوردها ديورانت عن الألوهية عند بوذا وأتباعه – قصة الحضارة [ ٣ / ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ] .

**الآخرة عند بــوذا :**

" البراهمة " الذين كانوا في زمن " بوذا " كانوا يعترفون بالألوهية مع الانحراف في التصور عند بعضهم ، وكانوا يعتقدون أيضاً في الآخرة ، وما فيها من ثواب وعقاب وجنة ونـــار .

وقد تحدث عن ذلك " البيروني " في كتابه تحقيق ما للهند من مقولة [١] مع عدم انسجام في تصورهم للتناسخ كجزاء مع الآخرة ، وما فيها من ثواب وعقاب . أما " بوذا " فلم يتحدث عن الآخرة ، بل إنه كان ينكر النفس ، وكان ينهي تلاميذه وأصحابه عن الخوض في هذه المسائل ، وقد سأله أحد مريديه مرة " هل الذات موجودة ؟ فسكت . فسأله : هل الذات ليست موجودة ؟ فظل ساكتاً ، فسأله هل هذا الكون دائم أو غير دائم ؟ وأخيراً قال " بوذا " لهذا المريد : هل قلت لك جئني أعلمك عن الذات وعن الكون لا لم أقل هذا – أيها المريدون – لا تفكروا كما يفكر الناس بل فكروا هكذا ، هذا ألم ، هذا مصدر الألم ، هذا إعدام الألم هذا سبيل إعدام الألـــم " [٢] . فلم يرض أن يجيب عن الذات ووجودها ، ومن وجهة نظرنا يعتبر هذا إنكاراً ، ولذلك فإن مصير النفس عنده مبهم وغير واضح " لأنه لا يؤمن ببداية ولا نهاية لهذا الكـــون " [٣] ، و" النرفانا " التي يعتبرها الغاية لا يصل إليها الإنسان بعد الموت لأنه " لا بعث ولا نشور ولا ثواب ولا عقاب " [٤] ، وإنما يحصل الإنسان على " النرفانا " وهو علـــى

---

[١] انظر تحقيق ما للهند من مقولة . وانظر اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام للباحث . نشر دار الوفاء سنة ١٩٩١ .

[٢] أديان الهند الكبرى ص ١٦٨ .

[٣] الفلسفات الهندية ص ٢٨٧ .

[٤] الهند القديمة ص ١٤٩ .

الأرض في الحياة – يدل البحث عن الكمال والانطفاء في عالم بعيد ومستقبلي ولذلك فإن " الكمال في نظر البوذية يحصل عليه الإنسان بنفسه في نفسه في هذا العلم يخلقــه بيده دون أدنى معونة من قوة ما ورائية أو دون انتظار نعيم موعــود "[١] .

وهذا بلا شك يبين أن البوذية قد خلت تماماً من الحديث عن الآخرة ، كما خلت من الإشارة إلى الألوهية ، وهذا ما يجعلنا نطلق عليها ديانة وضعية مادية منكرة لكل ما لا يقع تحت الحس والمشاهــدة .

---

[١] الفلسفات الهندية ص ٢٧٦ .

## البـــوذية بعد بـــوذا

مر بنا أن " بوذا " لم يتحدث عن الإله ، ولا عن الخلود أو الجنة والنار مما يجعلنا نذهب إلى أن البوذية ديانة مادية ملحدة منكـــرة . ولكن أتباع " بوذا " من بعده أحدثوا في دعوته ما لم ينادي به في حياته .

يقول " ويلز " : " إن ضرباً من اللاهوت نشأ حول " بوذا " فاكتشف الناس أنه إله وأنه واحد من سلسلة من كائنات قدسية هي " البوذوات " وأن لكل " البوذوات " روحاً خالدة لا تمتد إليها يد المـــوت " [١] .

وهذا لم يدعو إليه " بوذا " ولم ينادي به ، وإذا كانت الطقوس البرهمية قد شن عليها " بوذا " ، حملة شعواء وحاربها واعتبر أن طريق الخلاص لا يكمن فيها ، وإنما في تربية الروح ، فإن أتباعه قد أقاموا المعابد والأديرة والتماثيل ، وأخذت مظاهر العبادة " لبوذا " كثيراً مما كان شائعاً عند " البرهمية " من تقديـــم القرابين وغيرها ، وأصبحت عبادة " بوذا " تأخذ كثيراً من المظاهر الوثنية من إقامة التماثيل والصور " لبوذا " " فقدست صورته فيما بعد ونحت له تمثال إعجاباً به وتقديساً له ، ثم دعا هذا الإعجاب به لمنحه صفات الألوهيـــة واتخاذه إلهاً متجسداً " [٢] .

وقد تطورت هذه الديانة بعد " بوذا " ومرت بعدة مراحل أخذت أشكالاً متعددة من التطور .

---

[١] هـ . ج . ويلز [ ٢ / ٤٨٩ ] .
[٢] الهند القديمة ص ١٥٢ وأديان الهند الكبرى ص ١٧٦ ، ١٨٠ والفلسفات الهندية ص ٢٩٠ والأديان في كفة الميزان ص ١٨ – محمد فؤاد هاشمي – دار الفكر .

**يقول الدكتور أحمد شلبي :**

" من الممكن أن نقسم البوذية إلى مراحل خمسة ، كل مرحلة خمسة قرون .

**المرحلة الأولـــى :**

من مطلع البوذية إلى القرن الأول الميلادي – وقد شهدت هذه الفترة تحولاً كبيراً ، فقد كان " بوذا " معلماً ثم أصبح رجلاً مقدساً ، فمعبوداً ، فإلهاً . وفي هذه الفترة ظهر الإمبراطور " أسوكا " الذي اعتقد البوذية ودفعها إلى الخارج وابتدعت الطقوس للعبادة [١]

**المرحلة الثانيـــة :**

من القرن الأول حتى الخامس ، اتجهت إلى الشرق ودخلت الصين وكوريا وأواسط آسيا .

**المرحلة الثالثـــة :**

من القرن السادس إلى العاشر : وكانت البوذية في هذه الفترة تقاس بمدى ارتباطها بالحكم القائم قوة وضعفاً ، وفي هذه الفترة ازدهرت الثقافة البوذية وأثرت على الآداب في البلاد التي دخلتها .

**المرحلة الرابعة :**

من القرن الحادي عشر إلى الخامس عشر ، وفي هذه الفترة انكمشـــت

---

(١) انظر تاريخ العالم مقالة أ – بريديل كيث عن الأديان الناشئة في الشرق الأقصى ٢ / ٥٣٨ ، ٥٣٩ .

البوذية نظراً لظهور الإسلام ، ولكنها بحثت لها عن بلاد جديدة بعيدة عن الإسلام فانتشرت في بورما ، وسيلان ، واليابان .

**المرحلة الخامسة :**

من القرن السادس عشر إلى العشرين ، وفي هذه الفترة بدأت البوذية تظهر أمام البحث العلمي ، وأخيراً اصطدمت البوذية بالشيوعية ، إذ أن معظم الأقطار التي كانت تعتنق البوذية تحكمها الشيوعية الآن [١] .

---

[١] انظر أديان الهند الكبرى ص ١٤٨ ، ١٨٥ ، ١٨٦ . وانظر الهند القديمة ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

## تقـــويم البـــــوذية

**أولاً** : التراث المنسوب إلى البوذية من الناحية الفكـــرية . كما هو السلوك العملي لأتباع البوذية . يعطيان تصوراً عن تلك الديانة بأنها ضرب من التخبط الفكري ممزوج بالانحـــراف السلوكي . فما معنى رؤية بوذا للحياة بأسرها بأنها كئيبة ؟ وأن خروج الإنسان للحياة إحدى المصائب التي أصابت الإنسان . هذه النظرة من شأنها أن تلغي دور الإنسان في الكون . وهو المخلوق الذي سخر الله له ما في الأرض جميعاً وطلب منه أن يعمرها ، وأن يضرب فيها مبتغياً من فضل الله . ولإعانته على تلك المهمة السامية ، جعل الكون متسقاً معه فالكل مسخر لله ، ولكن الإنسان هو صاحب السيادة والتكريم على جميع المخلوقات ومظاهر الطبيعة المختلفة التي ما خلقت أصلاً إلا من أجله ..

**ثانياً** : يبلغ الاضطراب مداه ، والتخبط أقصاه ، حين يترك " بوذا " الأمور بغير تحديد . " فبوذا " وأتباعه قد خافوا ، وفروا من التناسخ ، تلك العقيدة الباطلة التي كانت سائدة عند " البراهمة " من الهنود ، ولكن ما هو مصير الروح بعد الموت ؟ ، كيف نظر " بوذا " وأتباعه إلى عالم ما بعد الموت ؟ لا جواب عند " بوذا " وأتباعه ؟ وهذا كله مرده إلى إنكار " بوذا " للألوهـــية .. وتعلقه بالعالم المادي المحسوس حتى وإن كان هذا التعلق تعلقاً سلبياً ، لدعوته أتباعه للتخلص من شهوات الجسد . ولكن يبقى وصفه ووصف أتباعه بالشك والحيرة والاضطـــراب .

**ثالثاً** : إن الهوى حين يسيطر على شخص أو جماعـــة يسد عليهم باب التفكـــير ويتردى بهم إلى دركات الهلاك . فها هو " بوذا " الذي شك وتحير بل

وأنكر الألوهية كما يذهب البعض . نراه يؤله الهوى ، ويتعبد للتعاليم التي دعا إليها . أما أتباعه فإنهم نصبوا من " بوذا " إلهاً . وأقيمت له المعابد ، والتماثيل وقدمت له القرابين ، ودُعي للبوذية على اعتبار أنها دين . نعم دين ولكنه باطل وقدست كلمات " بوذا " وأفكاره ولم تكتف بالبلاد التي نشأت فيها وإنما تجاوزتها إلى كثير من الأقطـــار المجاورة . وإن كنا نعتقد أن كثرة الأتباع ليست دليلاً على صحة الدعوة ، بدليل أن كثيراً من الدعوات الباطلة ، لها من الذيوع والانتشار أكثر من غيرها ، ولكن هذه العقائد ومنها : البوذية لا تصمد أمام معطيات العقل وقوة المنطــق وإن الواجب على علماء العقيدة في البلاد الإسلامية أن يتناولـــوا هذه الأديان الوضعية بالنقــد والتفنيــد حتى يطلعوا الناس خاصة الشباب على زيف هذه الديانات ، لئلا يفتنوا بأفكارها ، وفي الوقت نفسه يحصنهم بتعاليم الإسلام الحق التي تأتي على تعاليم هذه الديانات من القواعــد .

## الفصــل الرابع

## الديانــة الصينيـــة

**تمهيــد :**

إن بلاد الصين الفسيحة الأرجاء وذات الكثافة السكانية الكبيرة – تتسم دراسة الأديان فيها بعدة مشاكل منها :

( ١ ) أن الصينيين أنفسهم يحبون العزلة وعدم الاختلاط بغيرهم من الأمم والشعوب ، ولهذا لا تحسب الصين من أمم الرسالات الدينية كمصر وبابل والهند وفارس ، وبلاد العرب لأنها لم تخرج للعالم قيماً دينية ، ولكنها أخذت من الخارج قديماً وحديثاً ولم تعط أمة عقيدتها باستثناء اليابان التي أخــذت عنها نحلـــة " كونفشيوس " (١) .

( ٢ ) عدم توافر الجهود المبذولة في الكشف عن الآثار القديمة ، وحتى ما نقل منها فإن الترجمات اختلفت اختلافاً متبايناً نظراً لصعوبة اللغة من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الذين قاموا بالكشف عن الآثار الصينية الحديثة هم الغربيون . إلى الحد الذي جعل " ديورانت " يقــول :

" لقد كانت دراسة بلاد الصين عملاً من الأعمال المجيدة التي تمت في عصر الاستنارة ، وقد قال فيهم " ديدور " أولئك قوم يفوقون كل من عداهم من الأسيويين في قدم عهدهم وفي فنونهم وعقليتهم وحكمتهم وحسن سياستهم " (٢) .

---

(١) الله : للعقاد ص ٩٠ من مجموعة الأعمال الكاملة .
(٢) قصة الحضارة [ ٤ / ١٠ ] .

**ومما هو جدير بالذكر** أن المسلمين عرفوا الصين وحضارتها وديانتها وورد ذكر الصين وأخبارها في كتب القدامى من المسلمين قبل أن يسمع الغربيون عن الصين وثقافتها وحضارتها وديانتها .

**يقول المسعودي** المتوفي **٣٤٦ هـ عن الصينيين :**

" وديانتهم دين من سلف " أي أجدادهم " وهي ملة تدعى – السمنية – عباداتهم نحو من عبادات قريش قبل مجئ الإسلام " (١) .

فهذا أحد علماء التاريخ الإسلامي يذكر ديانة الصين وحضارتهم في القرن الرابع الهجري .

وابن النديم في الفهرست ٣٨٠ هـ يذكر " مذاهب أهل الصين وشيئاً من أخبارهم " (٢) .

وقد ورد ذكرهم أيضاً في كتاب سلسلة التواريخ لأبي زيد الحسن السيرافي التاجر المسلم الذي رحل إلى الصين وأشار إلى عقيدة الصينيين (٣) .

والسير توماس أرنولد . تحدث عن الصين وكيف عقدت صلات بين المسلمين وبين الصينيين عن طريق التجارة وعن طريق الفتح الإسلامي ونشر الدعوة الإسلامية في زمن مبكر جداً (٤) بالقياس لمعرفة الغربيين بالصين في القرن الثامن عشر .

---

**(١) مروج الذهب للمسعودي [ ١ / ١١٧ وانظر ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ] .**
**(٢) الفهرست لابن النديم ص ٤١٢ طبعة طهران تحقيق رضا تجدد .**
**(٣) انظر الديانات والعقائد في مختلف العصور [ ١ / ١٤٢ ] أحمد عبد الغفور .**
**(٤) انظر الدعوة إلى الإسلام – السير توماس أرنولد . انظر ص ٣٣١ وما بعدها .**

ومما كتبه المسلمون والغربيون عن الصينيين ودياناتهم نستطيع أن نتحدث عن الديانة الصينية – وسوف نتحدث عن :

**أولاً : الصينيون قبل لاهوتسيه وكونفشيوس .**

**ثانياً : عن لاهوتسيه وكونفشيوس .**

**ثالثاً : عن الصينيين بعد كونفشيوس .**

## أولاً : مظاهر العبادة قبل كونفشيوس

استطاع الباحثون الوصول إلى بعض المعارف التي تتعلق بديانة القدماء من أهل الصين ، وتتركز معبودات الصينيين القدماء في ما يلي :

**مظاهر الطبيعـــة :**

لقد احتلت مظاهر الطبيعة مكاناً بارزاً عند الصينيين القدماء ، فقد عبدوا مظاهر الطبيعة المختلفة من شمس ، وقمر ، ونجوم ، ورياح ، ومطر ، وأرض وسماء . واعتبروا أن لكل مظهر من هذه المظاهر إله أو ملك أو روح يلـــــي أمـــره [١] . ولكن لم تكن مظاهر الطبيعة عندهم على درجة واحدة من الأهمية فإنهم قدموا بعضاً منها على غيرها ومن أهم ما قدسوه تقديساً خاصاً عندهم :

**[ أ ] السمـــاء :**

لقد احتلت السماء منزلة كبيرة عند الصينيين لا سيما عند الخاصة منهم وكانوا يعتقدون أن السماء " الإله الأعظم مدبر الأكوان ومصرف الأمور وواهب الحياة ومقدر الأرزاق ، والسماء جوهر حي عليم قادر فعال لما يريد ولا راد لإرادته وتنفذ مشيئته كما تنفذ في الكائنـــات " [٢] .

ولكن السماء بمعنى الإله . معنى من معان متعددة يطلقها الصينيون على السماء . ومن الأشياء الأخرى التي يطلقونها على السماء الإطلاقات التالية :

---

[١] انظر الديانات والعقائد [ ١ / ١٤٥ ] .

[٢] انظر الجوار لكونفشيوس ص ١١ – ترجمة محمد مكين – العضو الصيني في جمعية التعارف الإسلامية – المطبعة السلفية ١٣٠٤ هـ .

**أولاً** : السماء بمدلولها المادي المتعارف عليه أي ما يقابل الأرض في قولنا الأرض والسماء وعلى هذا كانت تضم في طياتها جميع الكواكب والنجوم (١) .

**ثانياً** : لقب يتضمن معنى السمو والرفعة عند الصينيين يقولون السماء الإمبراطورية ، والإمبراطور العلوي . وهنا يشبه الحاكم بالسماء دلالة على علو مقامه وتسامي شأنه .

**ثالثاً** : كلمة تحوي بين طياتها معنى القضاء والقدر كقولك : " هكذا شاءت السماء " .

**رابعاً** : كلمة تعني الوجود الطبيعي .

**خامساً** : المعنى المتقدم أنها الإله العليم القادر المريد (٢) .

هذه المعاني المتعددة لكلمة السماء تدل على أن الصينيين قد نظروا إلى السماء نظرة مقدسة ، ويبدو أن هذا التقديس أخذ يتزايد على مر السنين ، إلى أن أصبح الاعتقاد الشائع أن " السماء شخصية إلهية حقيقية وأنها سيدة الآلهة والإنسان وملك الموتى ، وأنها القــوة العليا التي تهدي الناس إلى مصيرهم وتكلأ هذا المصير " (٣) .

---

(١) حكمة الصين [ ١ / ٣٣ ] والحوار ص ١١ .
(٢) نفسه ١ / ٣٣ .
(٣) تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة . إشراف موريس كروزيه [ ١ / ٥٩٩ ] وانظر تاريخ العالم – الأديان الناشئة في الشرق الأقصى بقلم أ . بريديل كيث [ ٢ / ٥٤٦ ] ترجمة علي أدهم . الناشر النهضة المصرية .

وما دامت السماء بهذه الأهمية فقد قدمت لها القرابين والعبادات . ولم تكن القرابين التي تقدم لها يحظى بها عامة الناس ، وإنما كان الذي ينال هذا الشرف العظيم إنما هو " الملك وحده لا يشاركه في التقديم أحد – لأنه هو الذي ملك البلاد بإذن السماء فهو ابن السماء " (١) . وقد مر بنا أن أحد اطلاقات السماء – كان يقصد بها الإمبراطـــور .

ولكن مع اعتراف الصينيين القدماء بأن السماء تعني الإله فإنهم مع ذلك لم يفرضوا " قوة مغايرة للعالم هي المنشئة له والمدبرة لأموره ، والمسيطرة على حركاته ، والواقية له من الفناء والانهيار . وإنما اعتقدوا أن العالم فيه جانب مادي وجانب روحي هو القوى ومن القوى منفردة أو بإئتلاف عدة قوى تحدث ظواهر الأشياء ويتم التجول المستمر الذي يقدرونه قانوناً عاماً شاملاً ، مع اعتبار أن السماء هي المسيطرة على القوى والمادة والأشياء جميعها " (٢) .

ونظراً لهذا الاعتقاد فإنهم قد اهتموا بالجانب السلوكي للإنسان ، فقد اعتقد الصينيون منذ أقدم العصور أن الأحداث الكونية تتبع الاخلاق التي تسود الناس وحكامهم فكلما كان الاعتدال والانسجام والفضائل تسود الناس – كلما كان الفلك سائراً في فلكه – أما إذا صدر سلوك معوج من جانب الأفراد أو من جانب الحكام – فإن الزلازل والبراكين ، والقحط – تحدث على الأرض كما يكون الكسوف في السماء (٣) .

ولذلك فإن من الأشياء المحمودة عند الصينيين ربطهم بين العقيدة والعمل

---

(١) الحوار ص ١١ والفلسفة الشرقية ص ٢١٩ .

(٢) الديانات القديمة ص ٨٩ بتصرف .

(٣) في العقائد والأديان ص ١٧٦ – الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني – الهيئة المصرية ١٩٧٠ .

والرجل الفاضل عندهم هو الذي ينسجم مع إرادة السماء .

ورد في بعض كتبهم والتي يرجع تاريخها إلى ١٢٠٠ ق . م أن " الرجل العظيم هو الذي يكون في انسجام مع السماء والأرض ، وبتلألئه مع الشمس والقمر وبخطواته المتسقة مع الفصول الأربعة ، وبصلته مع ما هو مستحب ومع ما هو مشئوم منسجماً مع شبيه الروح الفعالة بسبق السماء فلا تعمل السماء ضده يتبع السماء ولا يكون عمله إلا ما تحمل في ذلك الوقت ، وإذا لم تعمل السماء ضده فما أصغر الناس إزاءه وما أصغر عمل شبيه الروح " [١] .

ولعل هناك وجه شبه ظاهري بين التفكير الصيني القديم من ربطه الأخلاق الحميدة والسلوك المستقيم ، والانسجام مع السماء والأرض وبين قول الله تعالى : **( ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون )** [٢] . وبين قوله تعالى : ( واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ) [٣] .

**يقول أستاذنا الدكتور عبد الله الشاذلي :**

" إن الشبه يبدو ظاهرياً فقط حيث يتفق الفكر الصيني مع النص القرآني في انعكاس أثر الشرور على الفرد والمجموع وكذلك أثر الخيرات .

ولكن النصوص القرآنية تختلف عن الفكر الصيني من ناحية أن النص القرآني يبين أن ما أصاب الفرد بسبب سلوكه لم يكن طبيعيا من خلال الحركة

---

[١] في العقائد والأديان ص ١٧٦ .
[٢] سورة الأعراف الآية ٩٦ .
[٣] سورة الأنفال الآية ٢٥ .

الكلية كما رأى الصينيون – ولكن كان رد فعل من الله تعالى للعبد ثواباً وعقاباً على حسب العمل . فرد الفعل إذاً من سلطة إلهية خارجة عن الكون لا من حركة كونية طبيعية " [١] .

وهناك ناحية أخرى يختلف فيها الفكر الصيني عن النصوص القرآنية وهي نقطة الابتلاء فمن الممكن أن يفعل المسلم الصالحات ويجتنب الموبقات ومع ذلك تحدث له المصائب والآفـــات . ولكن ذلك يكون على سبيل الابتلاء حتى يميز الله الخبيث من الطيب – ولا يوجد هذا عند الصينيين – مع لفتنا النظر إلى أن الله عز وجل يقــول : ( **إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ) [٢] .

فلا مانع عقلي أو شرعي يمنع أن تكون أمة الصين من الأمم التي أرسل الله إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين وهذا التوافق الظاهري بالرغم من التحريف والتبديل – مع نصوص القرآن الكريم أثره الوحي – خاصة وأن الله عز وجل يقــول : ( **ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليمـــاً** ) [٣] .

**[ ب ] عبـــــادة الأرواح :**

في المرتبة التالية لعبادة السماء عند الصينيين تأتي عبادة الأرواح والأسلاف ، وكانت هذه العبادة تحتل مكانة مرموقة عند الصينيين إلى حد أن ذهب مؤلف صيني مسلم إلى أن " عقيدة الأمة الصينية جميعاً عبـــــادة أرواح

---

[١] **محاضرات في مقارنة الأديان ص ٤٥ بتصرف .**
[٢] **سورة فاطر الآية ٢٤ .**
[٣] **سورة النساء الآية ١٦٤ – انظر الديانات القديمة ص ٨١ ، ٨٢ .**

الآبـــاء ، فإنهم يعتقدون بقاء الأرواح بعد الموت ويشتاقون كل الاشتياق إلى عودتها إلى أسرتهـــا " [١] .

" ويبدو أن الأجداد كانوا يحتلون مكانة رفيعة من القداسة لدى أبنائهم ، خاصة الملوك منهم ، فقد كان الصينيون يعتقدون أن " الجدود الأموات هم حراس الأسرة النبيلة المباشرون " [٢] .

والواضح من النصوص أن عبادة الأسلاف في الصين ظلت محتفظة بقوتها على مر السنين – فقد أورد " المسعودي " من مؤرخي المسلمين الثقات – أسماء جماعة من الملوك أقاموا تماثيل لآبائهم وأجدادهم وتوجهوا لهم بالعبادة في بيوت خاصة لذلك .

فمن ذلك أن ملكاً وُلد له ابن يقال له " عوون " وبعد أن مات الملك – قام " عوون " فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب الأحمر جزعاً عليه ، وأجلسه على سرير من الذهب الأحمر مرصع بالجواهر ، وجعل مجلسه دونه ، وأقبل يسجد لأبيه ، وهو في جوف تلك الصورة . هو ، وأهل مملكته في طرفي النهار إجلالاً له ، وهلك فملك ولد له يقال له " عيثدون " فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب الأحمر وكان يسجد له ويبدأ بجده الأول ثم بأبيه وأهل مملكته يسجـــدون له " [٣] .

وقد أورد المسعودي نماذج كثيرة غير هذا النموذج ، وعبادة الأسلاف

---

[١] **الحوار ص ١٢ .**
[٢] **الشرق واليونان القديمة [ ١ / ٥٦٠ ] .**
[٣] **مروج الذهب للمسعودي [ ١ / ١١٤ ] وانظر ص ٦١٥ .**

اقتضت بلا شك نصب أصنام وتماثيل لهم وبيوت عبادة .

يذكر ابن النديم في الفهرست أن راهباً ذهب إلى بلاد الصين ولما عاد أخبره بما رأى عندهم . يحكي ابن النديم عن الراهب أن أكثر أهل الصين " يعبدون الملك ويعظمون صورته ، وفي بيت العبادة أنواعا من الأصنام والتماثيل والصور والتخيلات التي تبهر العقــول " [١] .

ويبدو أن الراهب الذي حكى لابن النديم قد رأى عند الصينيين طقوساً وشعائر أكثر مما عند النصارى . مما جعله يقسم لابن النديم قائلا " واللـــــه يا أبا الفرج لو عظم أحدنا من النصارى واليهود والمسلمين – الله جل اسمه تعظيم هؤلاء القوم لصورة ملكهم فضلاً عن شخص نفسه لأنزل الله لهم القطر ، فإنهم إذا شاهدوها وقع عليهم الإفكل والرعدة والجزع حتى ربما فقد الواحد منهم عقــله أياماً " [٢] . بهذا الوصف وصف أحد شهود العيان عبادة الصينيين لأسلافهم .

وإذا كنا قد ذكرنا طرفاً من عبادة الصينيين القدماء لأسلافهم ، سواء قبل الإسلام وبعده ، كما هو واضح من كلام المسعودي وابن النديم ، فإن هذه العبادة ظلت إلى العصر الحديــث .

**فقد ذكر الدكتور عبد العال الحيني في كتابه العقائد والأديان** : " أن هناك أناشيد من الكتب القديمة كانت ترتل عند تقديم القربان العظيم امذبح السماء في " بكنج " حتى سنة ١٩١١ " [٣] .

---

**[١] الفهرست لابن النديم ص ٤١٣ طبعة طهران . تحقيق رضا تجدد .**
**[٢] نفســه .**
**[٣] انظر ص ١٧٥ من كتاب في العقائد والأديان .**

وإن وصف المعبد الذي ورد على لسان الراهب في الفهرست لابن النديم ينطبق على الوصف الذي وصف به المعبد حديثاً [١] كما ورد في كتاب في " العقائد والأديان " . وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على تغلغل عبادة الأسلاف لدى الصينيين وأنهم كانوا يتوارثونها جيلاً بعد جيل .

ونظراً لشيوع عبادة الأرواح وتقديم القرابين إليها على الوجه المشار إليه فقد ترتب على ذلك أن خلع الصينيون على السحرة والعرافين القدسية والتبجيل باعتبارهم الواسطة بين عامة الناس والأرباب .

وكانت القرابين التي تقدم للأرواح ، عبارة عن موائد مشتركة بين الأحياء والأموات وتكون القرابين دموية بصورة شبه مستديمة ، وكانت القرابين البشرية تُقدم أحياناً مع بعض الطقوس الخاصة – مثل فتيات يُقدمن كزوجات للآلهة – أو بعض أسرى الحرب الذين يقدمون في بعض أوقات الجفاف الشديد لاستدرار المطر [٢] مع الغناء والرقص والموسيقى .

وكان إمبراطور الصين هو الذي يقدم القرابين إلى آبائه ، وأجداده ، وكان بمثابة الكاهن الأعلى ، وكثيراً ما حدث أثناء بعض أدوار التاريخ الصيني البالغ الاضطراب أن توقف الملك عن الولاية والحكم . ولكن تستمر عملية تقديم القرابين والتضحية له وحده . وذلك للاعتقاد السائد بأن الأموات من الأجداد هم حراس الأسرة الحاكمة [٣] .

---

(١) انظر ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ من كتاب في العقائد والأديان .

(٢) انظر تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة [ ١ / ٥٦٠ ] والحوار لكرنفشيوس ص ١٢ والديانات القديمة ص ٩٠ وحكمة الصين [ ١ / ٣١ ] .

(٣) انظر الحوار ص ١٢ ، معالم تاريخ الإنسانية . ويلز [ ١ / ٢١٩ ] والشرق واليونان القديمة [ ١ / ٥٦٠ ] .

وينبغي الإشارة إلى " أن الصينيين بالرغم من عبادتهم للأرواح ، وتقديم القرابين إليها إلا أنهم لا يعتقدون في الآخرة ، والجنة ، والنار ، وإنما يعتقدون أن " الجزاء في الدنيا إن خيراً فخير وإن شراً فشر . ولا يسألون عن مصير الأرواح بعد خروجها من الأجساد وإنما يعتقدون أن الأرواح تبقى في الدنيا وتعيش مع أفراد أسرتها في الغيب " [١] .

وهذا ما يجعلنا نجزم بأن الديانة الصينية تقصر فكرتها على الحياة الدنيا وحدها ..

**[ ج ] عبادة الملائكـــة :**

من أصول الديانة الصينية القديمة عبادة الملائكة ، ولقد أسرف الصينيون في جعلهم ملك لكل مظاهر الطبيعة تقريباً " فالشمس ، والقمر ، والسحاب ، والمطر ، والجبال ، والأنهار ، وما شاكلها من الكائنات يكون لكل واحد منها ملك يعبده الناس ويستعينون به " [٢] .

ولكن ، هل الكل يعبد هذه المظاهر ؟ أو أن هناك تمايزاً بين عامة الصينيين وخاصتهم ، وخواص خاصتهم ؟

الروح العامة للديانة الصينية تشعر بذلك ، فعبادة ملائكة الأرض والجبال والأنهار مخصوصة بالأمراء وحدهم ، كما أن عبادة السماء مخصوصة بالملك وحــده [٣] .

---

[١] مقدمة الحوار ص ١٢ .
[٢] نفســه .
[٣] نفســه .

وقد رأينا من قبل ، كيف كانت القرابين من خصائص الملك وحده ، وأنه في بعض الفترات يزول الجاه والسلطان عن الملك ، ولكن تقديم القرابين يظل من خواصه وحده ، والذي يمكن أن نستنبطه من خلال إلمامنا بالديانة الصينية أن العامة قد تعبدوا إلى مظاهر الطبيعة المختلفة بالسلوك الأخلاقي ، وأن الأمراء والنبلاء شاركوهم في هذا السلوك الأخلاقي ، ولكنهم قدموا القرابين بدلاً عنهم إلى مظاهر الأرواح والأسلاف المحلية . أما السماء وما يقدم لها من الذبائح فذلك من خصائص الملك وحده لا يشاركه فيها غيره ، اللهم إلا بالرقص والغناء والموسيقى .

وهناك تحليلات فلسفية للتمايز بين عقيدة العامة في الصين وعقيدة الخاصة أوضحها أستاذنا الدكتور عبد الله الشاذلي ، لا يتسع المجال لعرضها على هذه الصفحات [١] .

ولعلنا نستنبط من هذا التمايز بين عبادة الخاصة وعبادة العامة – أن قدماء الصينيين كانوا على طبقات مختلفة ولكل طبقة امتيازات خاصة في الملابس والزينات ومن اغتصب امتيازات الطبقة التي تفوق طبقته يُعد عاصياً [٢] وإذا كان هذا مراعياً في الحياة فإنه أشد مراعاة بعد الموت ، فقد كان من التقاليد القومية أن يدفن الميت على قدر ثروته فمن كان فقيراً فلا يصح أن يدفن دفناً فاخراً [٣] .

---

**(١) انظر التحليلات القيمة التي خرج بها أستاذنا الدكتور عبد الله يوسف الشاذلي – محاضرات في مقارنة الأديان ص ٣٦ ، ٤٠ .**

**(٢) انظر الحوار لكونفشيوس الهامش ص ٧٢ .**

**(٣) نفسه هامش ص ١٠٢ .**

**ثانياً : مرحلة لاهوتسيه وكونفشيوس :**

أصابت الصين اضطرابات فكرية وسياسية في القرن السابع ق . م مما أثر على سائر جوانب الحياة لا سيما الجانب الأخلاقي والثقافي وهما الجانبان اللذان يتأثران تأثراً مباشراً بعوامل الضعف والتدهور - ومع استمرار الفوضى والاضطراب أنجبت الصين اثنان من أعظم رجالها على الإطلاق . وهما " لو - دزه " ، " كونغ فوتسي " ليصححا الأوضاع المتردية التي وقعت في البيئة الصينية التي كانت قد أصيبت بفوضى وفساد عريض في الأخلاق والعلاقات الإنسانية (١) .

وسنشير إشارة سريعة إلى " لو دزه " الفيلسوف العجوز الذي عاصره " كونغ فوتسي " فترة من الوقت ونتحدث عن الفيلسوف الآخر " كونغ فوتسي " بما يتناسب مع تأثيره على الحياة في الصين .

**أولاً : " لو دزه " لاهوتسيه :**

يُعد " لو دزه " من أعظم الفلاسفة في الصين قبل " كونفسيوس " - وهناك اتفاق على عدم تحديد مولده ، وشك في شخصيته التي يغشاها الغموض مع سيرتـــه (٢) .

يحدثنا " وول ديورانت " - نقلاً عن أحد المؤرخين الصينيين أن" لودزه " - عافت نفسه سفالة السياسيين ومل عمله في أمانة مكتبة " جو " الملكيـــــــة -

(١) انظر محاضرات في مقارنة الأديان ص ٤٥ والتفكير الديني قبل الإسلام ص ١٠٨ .
(٢) الديانات والعقائد [ ١ / ١٦٢ ] .

فاعتزم أن يغادر الصين ليبحث له عن معزل في الريف . فلما أن وصل إلى حدود البلاد قال له الحارس " مين شى " إنك إذن تنشد العزلة وأنا أزجوك أن تكتب لي كتاباً ، فكتب له كتاباً من جزأين في " الدَّوْ ، والْدِيْ " يشتمل على خمســة آلاف كلمة ولما أتمه اختفى ولم يعلم أحد أين مات [١] .

ولكن الروايات والأساطير التي تدعي معرفة كل شيئ ؟ تحدد وقت ميلاده وعمره – فيقال إنه وُلد في سنة ٦٠٤ ق . م أو ٥٧٠ ق . م – وقد لا يكون له اسم ولا ميلاد ولا كتب كما يقول " ديورانت " [٢] .

و " لو دزه " معناه المعلم القديم – أما اسمه الحقيقي فهو كما تقول الرواية " لي " أي البرقوقة .

آثـــــاره :

كل ما يعرف عن مؤلفاته كتاب " تاوتي " أو الدَّو والْدِيْ ، ومعناه الطريقة والفضيلة ، والطريقة معناها الإله عنده – وهذا الكتاب سواء أكان من تأليفه أو من وضع تلاميذه هو أهم النصوص التي تشرح " التاوية " التي يقول العلماء أنها وجدت قبل " لاهوتسيه " [٣] .

---

(١) انظر قصة الحضارة [ ٤ / ٣٠ ] .
(٢) قصة الحضارة [ ٤ / ٣٠ ] والديانات والعقائد ص ١٦٢ .
(٣) انظر المصدرين السابقين .

**تعاليمــــه :**

**( أ ) الناحية الأخلاقيـــة :**

يعتبر " لاهوتسيه " أن الزهد والعزوف عن الدنيا ومشاكلها هي الطريقة المثلى للتغلب على المشاكل التي تقابل الأفراد حكاماً أو محكومين ، فهو يرى أن الطبيعة هي الأمن والخير والسلام ، وأن الناس حين حصلوا على المعرفة والعلم إعوج بهم الطريق ، وعقَّدوا الحياة التي كانت سهلة وآمنـــة ، وخسروا كل طهارتهم الذهنية والخلقية ، وانتقلوا من الحقول إلى المدن وشرعوا يؤلفون الكتب فنشأ من ذلك كل ما أصاب الناس من شقاء .

فالعاقل إذن من يبتعد عن هذا التعقيد الحضري وهذا التيه المفسد ، ويختفي بين أحضان الطبيعة بعيداً عن المدن والكتب والموظفين المرتشين والمصلحين المقترين ، وسر الحكمة كلها وسر القناعـــة الهادئة التي يجد الإنسان فيها السعادة الأبدية هي الطاعة العمياء لقوانين الطبيعة ، وقبول جميع أوامرها والجري على سنن الطبيعة الصامتة وتقليدها في تواضـــع [١] .

بهذه السلبية المطلقة ينادي " لاهوتسيه " إذ أن الاضطراب في الدولة لا يقضى عليه إلا بأن الإنسان لا يحاول " إصلاح أمورها بل أن يجعل حياته نفسها أداء منظماً لواجبه ، وإذا ما لاقى الإنسان مقاومة فأحكم السبل ألا يكافح أو يقاتل أو يحارب ، بل أن يتروى في سكون وأن يكسب ما يريد بالخضوع والصبر ، ذلك أن المرء ينال بالسكون أكثر مما ينال بالعمــل " [٢] .

---

[١] انظر قصة الحضارة [ ٤ / ٣٤ ] والديانات والعقائد ص ١٦٤ ، ١٦٥ .
[٢] قصة الحضارة [ ٤ / ٣٥ ] .

**ومن أقـــواله :**

" قابل الإساءة بالإحسان أنا خير للأخيار وخير أيضاً لغير الأخيار " .

وسنعرض لأوجه الاختلاف والاتفاق بين " لاهوتسيه " و " كونفشيوس " إن شاء الله تعالى .

**( ب ) الناحية الدينيـــة :**

إن الناحية الدينية عند " لاهوتسيه " ينتابها كثير من الغموض ، إذ أنه يعتبر أن " تاو " هو المطلق الكائن وهو مراد الكون ، وليس الأرض وحدها لأنها جزء من الكـــون .

والمطلق ليس منفصلاً عن الكون بل داخل فيه دخولاً جوهرياً ، وهو فاعل كل شيئ إذ أنه الموجود الذي انبثقت عنه الموجودات كلها غير أنه هو المبـــدأ .

ولما كان الحس يدرك المحسوس والعقل يكيف المحدود فلا طاقة له بالوصول إلا إلى المحدود ، أما اللا محدود فالوصول إليه عن طريق الخلوة والتعبد والتأمل والتفكير والسبحات الكونية في الفضاء الصامت بعيداً عن الضجيج والعوائق لأنه السبيل الأصلي للتعرف على الحق مطلقاً تعرفاً شعورياً مباشـــراً [١] .

وهناك بعض النصوص من كتاب " التاوية " المقدس الذي ينسب إلـــى

---

[١] انظر الديانات والعقائد [ ١ / ١٦٤ ، ١٦٥ ] ومحاضرات مقارنة الأديان ص ٤٧ ، ٤٨ .

" لاهوتسيه " أوردها " أحمد عبد الغفور العطار " في كتابه " الديانات والعقائد في مختلف العصور "[١] تدور حول العزلة ومقابلة الإساءة بالإحسان .

**لقاؤه مع كونفشيوس :**

هناك شبه اتفاق بين المؤرخين على أن " كونفشيوس " قابل " لاهوتسيه " الأول كان في مقتبل حياته ، والثاني ناهز الثمانين من عمره ..

ويروى أن " كونفشيوس " جاء في سن الرابعة والثلاثين من عمره – لمقابلة " لاهوتسيه " – ليستشيره في بعض الأمور ذات الصلة بالتاريخ . ويقال أن " لاهوتسيه " أجاب إجابة غامضة قصيرة جاء فيها :

" إن الذين تسأل عنهم قد استحالوا هم وعظامهم ترابا . ولم يبق إلا ألفاظهم وإذا ما حانت ساعة الرجل العظيم قام من فوره وتولى القيادة . أما قبل أن تحين هذه الساعة فإن العقبات تقام في سبيل كل ما يحاوله . ولقد سمعت أن التاجر الموفق يحرص على إخفاء ثروته ويعمل عمل من لا يملك شيئاً من حطام الدنيا ، وأن الرجل العظيم بسيط في أخلاقه ومظهره رغم ما يقوم به من جلائل الأعمال . فتخلص من كبريائك ومطامعك الكثيرة وتصنعك وآمالك المفرطة البعيدة ، إن هذه لا ترفع قط من أخلاقك ، وهذا ما أشير به عليك "[٢] .

ويقال أن " كونفشيوس " قد تأثر كثيراً بهذه النصائح ، وقال عن " لاهوتسيه " " لست أستطيع أن أجد له مثيلاً "[٣] .

---

(١) انظر الديانات والعقائد [ ١ / ١٦٧ ] .
(٢) قصة الحضارة [ ٤ / ٣٨ ] .
(٣) نفسه [ ٤ / ٣٩ ] .

وسنرى فيما بعد كيف استفاد " كونفشيوس " من هذه النصائح ليصبح من أعظم الرجال شهرة وذيوعاً – عن أستاذه .

**ما صار إليه مذهب لاهوتسيه :**

لم ينتشر ذلك المذهب انتشاراً واسعاً من بعده ، وقد قام بعض التلاميذ بشرح مذهب أستاذهم مع بعض الإضافات على تعاليمه وعلى رأس هؤلاء التلاميذ " جوانج تسي " الذي شرح تعاليم أستاذه شرحاً غامضاً مبهماً ، فقد كان يرى أن الذين يعقلون من القدماء كانوا يعرفون مصدر أنفسهم كما يعرفون مصيرهم ، ولذلك لم يتعجلوا إنهاء حياتهم بل تركوها على فطرتها حتى تنتهي هي نفسها لأنهم مدركون أن اليوم الذي سيفنون فيه في هذا الوقت آت لا محالة ، وهذا التعقيد الغامض المبهم لم يفهمه العامة ، ولذلك انصرفوا عن المذهب مما حدا بالتلاميذ النزول إلى مستوى العامة – فكان مزيداً من التحريف والتعقيد [١] أضيف إلى غموض " لاهوتسيه " ذاتـــه .

**ثانياً : كونغ فوتسي " كونفشيوس " :**

وُلد ذلك الفيلسوف سنة ٥٥١ ق . م في بيت عريق بقرية " جانغ بينغ " في إمارة " لو " وهي قريبة من مدينة " جي فو " في ولاية " شانتونغ " وكان اسمه " كونغ جيو " ولقبه " جونغ تي " وهو مشهور عند عامة الصينيين بـــ " كونغ فوتسي " أي الأستاذ وحرفه الغربيون فصار مشهوراً عندهم بـــ " كونفشيوس " .

---

[١] انظر الديانات والعقائد [ ١ / ١٦٨ ، ١٦٩ ] ومحاضرات في مقارنة الأديان ص ٥٠ ، ٥١ .

مات أبوه وهو في سن الثالثة من عمره وتولت أمه تعليمه ، وكان مع دراسته يتعلم الرماية والموسيقى ، ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره تزوج ، ولكنه ما لبث أن فارق زوجته وتفرغ للعلم والدراسة والبحث وكان في ذلك الوقت موئلاً للسائلين ، ثم التقى " بلاهوتسيه " وهو في الرابعة والثلاثين من عمره -- وتعرف من خلال دروسه على ابن رئيس المقاطعة ، وكانت هذه الصلة سبباً في تولي " كونفشيوس " وزارة الحقانية لإمارة " لو " وهي من إمارات الصين في عصر الإقطـــاع ، ثم تولى رياسة الوزارة بالنيابة ثم عزل عن منصبه فجاب أنحاء الصين فلم تتح له فرصة استخراج مبادئه السياسية من حيز الفكر إلى حيز الوجود . ولما فشل في ذلك ، عاد إلى وطنه الأصلي وأخذ ينقح الأسفار القديمة ويعلم الناشئة ، وقد توافد عليه الطلبة من أرجـــاء الصين حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف نسمة ، وكان النوابغ منهم اثنين وسبعين ، تكاتفوا على نشر مذهبه في البلاد ، حتى صار مذهباً رسمياً وحيداً منذ أواخـــر القرن الثاني قبل الميلاد إلى أول القرن العشرين بعده ، فكان " كونفشيوس " هو المربي الأكبر للأمة الصينية وتوفى سنة ٤٧٩ ق . م . ودفن في مسقط رأسه وبنى بجوار ضريحه هيكل عظيم تقام فيه حفلة الذكرى الرسمية كل عام منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا [١] أي في عام ١٣٥٣ هـــ العام الذي ترجم فيه المترجم كتاب الحوار [٢] .

---

(١) استقينا التعريف بكونفشيوس من أحد الصينيين المسلمين الذي ترجم كتاب الحوار ــ له وهو أحمد مكين ــ انظر الحوار ص ٨ ، ٩ . وانظر التفكير الديني قبل الإسلام ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ وقصة الحضارة [ ٤ / ٤٠ ، ٤١ ] والديانات القديمة ص ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، والديانات والعقائد في مختلف العصور [ ١ / ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ] .

(٢) انظر ص ٧ من الحوار .

## تعاليـــم كونفشـــيوس

### أولاً : موقفه من المعتقدات قبله :

قبل أن نتحدث عن تعاليم " كونفشيوس " ودعوته لابد من توضيح لموقفه من العقائد التي قبله ، ونبادر فنقول : إن هذا الفيلسوف تخرج على التعاليم الدينية التي كانت رائدة قبله واعتنق الأفكار الموروثـــة ، لم يزد عليها اللهم إلا في الناحية الأخلاقية والسياسيـــة (١) .

فمن الناحية الدينيـــة :

كان يقوم بتقديم القرابين التي يقدمها الصينيون على حسب منزلتهم وكان يقوم بواجب العبادة وكان دائم النصح لتلاميذه ألا يغفلوا عن الطقوس والقرابين ، والمراسم التقليدية في عبادة الأسلاف ، ومع ذلك كان يقرأ التعاويذ لطرد الأرواح الشريرة من بيتـــه (٢) .

وفيما يتعلق بالسماء التي كان يعبدها الصينيون ، فإن " كونفشيوس " كان ينظر إليها على أنها " عناية ربانية هادية الأمر الذي يقتضي من الإنسان أن يعمل وفق إرادتهـــا " (٣) . وكان يعتبر أن السماء ترى كل ما يفعل وكل ما يترك وأنه إذا لم يهتم به أحد من البشر فإن السماء تراه .

ورد في المختارات وهي من أهم المؤلفات التي تنسب إلى " كونفشيوس "

---

(١) الديانات القديمة ص ٩١ .
(٢) نفسه ص ٩١ وانظر قصة الحضارة [ ٤ / ٥٣ ] .
(٣) حكمة الصين [ ٣ / ٧٣ ] .

قوله : " إنني لا أجأر بالشكوى ضد الشعائر ، ولا ألقي باللوم على الناس إن مطالعاتي ودراساتي وإن كانت متواضعة ، تخترق أعلى مكان ، ولعلي قبل كل شيئ معروف لدى الســماء " (١) .

ويبدو من هذا النص أن عدم استجابة من بعض الناس قد حدثت له أثناء عرضه لدعوته والتبشير بها ، الأمر الذي جعله يتحدث بمرارة عن الناس في هذا النص واعتبر أن معرفة السماء له كافية لكي يرضى عما يصنع ، وسواء أكانت السماء التي يدعي معرفتها له ولأعماله – يقصد بها السلطة العليا للغيب أو القوى الخفية للأرواح العليا (٢) ، فإن الذي يهمنا هو أنه كان يعتقد في قوة غيبية عظمى يجأر إليها بالشكوى ، وبالجملة ، فهو لم يخرج على تعاليم قومه الدينية وشاركهم في احتفالاتهم وطقوسهم الأمر الذي يجعلنا نحكم على " كونفشيوس " أنــه كان مادياً مؤلهاً .

## ثانياً : فلسفته النظــرية :

لقد رأى " كونفشيوس " مظاهر الفوضى والانحلال شائعة في عصره ، ورأى أن المنحرفين والمضللين يأخذون من التلاعب بالألفاظ وسيلة لمزيد من الانحراف والانحلال ، وعبث بمصالح الدولة ، فما كان منه إلا أن دعا إلى العناية بمعاني الأسماء والألفاظ الدالة على المسميات والحق في تلك الدعوة ليقطــع على المضللين سبيل التضليل ويفتح الباب ليستقيم طريق المعرفــة من غيــر تمويـــه (٣) .

---

(١) نفسه [ ١ / ٨٧ ] .
(٢) التفكير الديني قبل الإسلام ص ١٠٨ .
(٣) الديانات القديمة ص ٩٥ .

وقد أولى هذه النقطة أهمية خاصة مع تلاميذه .

ورد في كتاب " الحوار " المنسوب " لكونفشيوس " قال " تسي لو " : " إن أمير ( وي ) ينتظر من حضرتك أن تسوس هذه الإمارة ، فبم تبتدئ حضرتك ؟ قال الأستاذ لابد من تصحيح الأسماء . قال " تسي لو " ألك هذا الرأي – هذا رأي سخيف . كيف يكون تصحيح الأسماء ضرورياً – قال الأستاذ : ما أسوأ أدب ( يو ) إن الرجل الكامل الخلق يتحفظ مما لا يعلمه إذا لم تكن الأسماء صحيحة لا يوافق الكلام حقائق الأشياء ، وإذا لم يوافق الكلام حقائق الأشياء لا تتم الأمور ، وإذا لم تتم الأمور لا تزدهر الآداب والموسيقى ، وإذا لم تزدهر الآداب والموسيقى لا تنزل العقوبات على من يستحقها ، وإذا لم تنزل العقوبات على من يستحقها ، لا يعرف الرعية كيف يحركون أيديهم وأرجلهم ، ولذلك يعتبر الرجل الكامل الخلق ، ضرورياً أن توافق الأسماء مسمياتها ، حتى يمكن أن يتكلم بها ، وأن يعمل بما يتكلم ، والرجل الكامل الخلق لا يتهامل في كلامه " [١] .

ولقد نقلنا النص بطوله حتى نعرف إلى أي حد كان " كونفشيوس " يهتم بالأسماء والمسميات . وهذا يدلنا على أنه كان يعني بالمنطق الذي هو معيار العلوم [٢] .

ولقد أخذ يصفي الأسماء لأنه كان يعتقد أنه إذا ما تحددت معاني الأسماء أمكن استخدامها معايير للسلوك [٣] وإن عناية " كونفشيوس " بالألفاظ جزء من

---

[١] **الحوار ص ١٢١ ، ١٢٢ .**
[٢] **نفسه هامش ١٢٢ .**
[٣] **حكمة الصين [ ١ / ٦٨ ] .**

أن يكون الشخص الكامل على معرفة بحقائق الأشياء ، فهو يحث على المعرفة الصحيحة ويعتبرها جزءاً من منهاجه الخُلقي فهو يعتبر أن من كمال الفضيلة للرجل حسن إدراكه للأمور وقدرته على فهم ما يلقى بين يديه من المسائل من غير أن يدفعه الغرور إلى الضـــلال [١] .

ويعلق " كونفشيوس " على نظرية تحديد الأسماء أهمية بالغة – ليجعل كل اسم له تعريفه الخاص به الذي يدل على شيئ بعينه لا يتعداه إلى غيره [٢] .

**ثالثاً : تعاليمه الأخلاقيـــة :**

يتفق كل من كتب عن الصين في عهد " كونفشيوس " أن الصين كانت تمر بحالة من الفوضى والاضطراب وانتشار موجة من الشك وعدم اليقين [٣] فما كان منه إلا أن قاد عملية الإصلاح التي تمثلت فـــي :

**[ أ ] حب الأسرة واحترامها :**

لقد دعا " كونفشيوس " إلى احترام الآباء واعتنى بصفة خاصة بتماسك الأسرة ، ولذلك نرى في كتبه العناية بعلاقة الولد بوالديه .

**يقول في الحــوار :**

" من خدم والديه فلينصح لهما بالبشاشة والرفق فإن رأى منهما عزيمة على الإعراض عن نصحه فليزدد احتراماً لهما وهو غير متنازل عن تقديـــــم

---

(١) الديانات القديمة ص ٦٥ ، ٦٦ بتصرف .
(٢) حكمة الصين [ ١ / ٧١ ] .
(٣) قصة الحضارة [ ٤ / ٥٤ ] والديانات القديمة ص ٩٤ .

النصح لهما وغير متذمر منهما ولو نالته المتاعب في سبيل نصحه لهما " [١] .

وهذا السلوك القويم الذي يدعو إليه " كونفشيوس " يجعلنا نميل إلى أن هذه الأقوال فيها شيئ من تعاليم السماء . أي من آثار الوحي الذي جاء للصينيين عن طريق الأنبياء . على اعتبار أن الصين أمة من الأمم . ولقوله تعالى **( وإن من أمة إلا خلا فيها نذير )** [٢]

ورود قولــه أيضاً :

" من كان والداه في قيد الحياة فلا يسافر إلى الآفاق القاصية ، فإن سافر مضطراً فليكن لسفره جهة معينة " [٣] .

إن بقاء الولد مع والده يضمن استقرار الأسرة ومن وصايا " كونفشيوس " أنه لا ينبغي أن يسافر في أماكن غير معروفة ، وإن كان لابد مسافراً فليحدد سفره إلى مكان بعينه .

ويعتبر " كونفشيوس " أن طريقة الوالدين في الحياة جديرة بأن تتبع من الأبناء بعد وفاة الوالدين ، والإنسان يتصف بالبر بوالديه إذا " لم يعدل عن سنة والديه ثلاث سنوات كان جديراً بأن يتصف بالمبرة " [٤] .

وإطالة عمر الوالدين مما يجب أن يتمناه الإبن وعليه أن يخشى من رحيلهما من على قيد الحياة " إن سنة الوالدين يجب أن تكون محفوظة عن ظهر قلب الولد ليبتهج بطول بقائهما ويتوقى حلول أجلهما " [٥] .

---

[١] **الحوار ص ٤١ .**
[٢] **سورة فاطر الآية ٢٤ .**
[٣] **نفســه ص ٤١ .**
[٤] **نفســه ص ٤٢ .**
[٥] **نفســه ص ٤٢ .**

ويبدو من خلال هذه النصوص أن " كونفشيوس " كان يولي الآباء مكانة مرموقة من دعوته الإصلاحية .

وقد ورد في المختارات : " أن توقير الآباء ليس بتقديم الطعام والشراب وإنما إن ارتأى الابن رأياً فعليه عرضه على الأبوين في لطف وكياسة فإن ضرباه فلا يشتكـــي " (١) .

على هذا الحد يصل توقير الأبناء للآباء – وهنا نستحضر النصوص القرآنية المتعددة التي حثت على البر بالوالدين والإحسان إليهما وعدم نهرهما والدعوة لهما (٢) ، وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على أن هناك أصداء للوحي كانت تتردد بين أرجاء الصين الفسيحة ، وصدق الله العظيم حين يقول : **( وإن من أمة إلا خلا فيها نذير )** (٣) .

**[ ب ] القـــدوة الحسنة :**

يرى " كونفشيوس " أن الإصلاح لا يكون بالكلام وإنما بالعمل والسلوك القويم حتى يعود الخير على الإنسان كفرد وعلى الجماعة كمجتمع .

لقد سأل أحد تلامذة " كونفشيوس " عما يكون الرجل الكامل الخلق ؟

فقال الإستاذ : " تهذيب النفس بالعناية ، قال " أهكذا فقط " قال : " تهذيب النفس لتأمين جميع الأمة من شرها ، وتهذيب النفس لتأمين جميع الأمة من شرها كان

---

(١) حكمة الصين [ ١ / ٩٠ ] .

(٢) انظر على سبيل المثال : سورة النساء الآية ٣٦ وسورة الأنعام الآية ١٥١ – وسورة الإسراء الآية ٢٣ – ٢٨ وسورة العنكبوت الآية ٨ وسورة لقمان الآية ١٤ ، ١٥ .

(٣) سورة فاطر الآية ٢٤ .

مما يتأسف على العجز عنه " يو " و " شون " (١) " وكانا من ملوك الصين القدماء . فتهذيب النفس والفضيلة لا تطلب لذاتها – ولكنها تطلب لأنها كمال الإنسان ولأنها الفطرة السليمة والطريقة التي يتم بها التآلف والسلام بين الإنســـان والعالم (٢) .

و " كونفشيوس " دائماً يربط بين الفضيلة والعمل وعدم الكلام يقــول : " الرجل الكامل الخلق يرجو أن يكون مقتصداً في قوله مجداً في عمله ، ومن تحلى بالفضائل لا يستوحش ، بل لابد أن يكون له جيران " (٣) .

وكان لا يكف عن المناداة بحسن المعاملة والصدق والتفاني في العمل والترفع عن المطامع ، وكان الإخلاص يحتل مكاناً بارزاً في تعاليمه الأخلاقية لأنه قوام الأخلاق الصالحة . ولكن الإخلاص وحده لا يميز الرجل الأعلى وإنما لابد مع الإخلاص من العمل " إنه يعمل قبل أن يتكلم ثم يتكلم بعدئذ وفق ما عمـــــل " (٤) .

وكان يقدم القدوة الصالحة على كل شيئ " خير للإنسان أن يكون قدوة صالحة من الاشتغال بالوعــظ " (٥) ولم يكن بالذي يأمر غيره بما لم يفعله ولكنه كان دائماً يبدأ بنفسه ليقتدي تلاميذه بـــه . كان يقول لهم " أتظنون أني أخفي عليكم شيئاً ، ما من أمر أعمله إلا فيه إرشادكم وهذه هي طريقتـــــي فـــي التربيـــــة " (٦) .

---

(١) الحوار ص ١٤٧ ، ١٤٨ .
(٢) الديانات القديمة ص ٨٩ ، ٩٠ .
(٣) الحوار ص ٤٢ .
(٤) قصة الحضارة [ ٤ / ٥٧ ] .
(٥) الديانات والعقائد [ ١ / ١٥٥ ] .
(٦) الديانات القديمة ص ١٠٣ .

ولعل هذه الطريقة في التربية هي التي ضمنت لتعاليمه البقاء طوال هذه المدة الطويلة التي تربو على خمسة وعشرين قرناً من الزمـــان (١) .

**[ ج ] الإصلاح السياسي :**

لقد اتفق أن عاصر " كونفشيوس " الشاب " لاهوتسيه " الشيخ العجوز وكل منهما قد عرض خطته للإصلاح السياسي للمجتمع ، الذي انتشر فيه الفساد وعم فيه الفوضى ، ومن خلال عرضنا للإصلاح ، سيتضح لنا بجلاء وجهة نظر " كونفشيوس " في الإصـــلاح .

لقد رأى " لاهوتسيه " أن الإصلاح لا سبيل للوصول إليه بالحركة والعمل وإنما بالزهد والعزلة والتخلي عن المجتمع وشروره وآثامـــه .

يقول " لاهوتسيه " : " إن كل ما في الطبيعة من أشياء تعمل ، وهي صامتة ، وهي توجد وليس في حوزتها شيئ وتؤدي واجبها دون أن تكون لها مكالب ، وكل الأشياء تعمل عملها ، ثم تراها تسكن وتجمد ، وإذا ما ترعرعت وازدهرت عاد كل منها إلى أصله وعودة الأشياء إلى أصونها معناها راحتها وأداؤهـــا ما قدر لها أن تؤديه وعودتها هذه قانون أزلي ومعرفة هذا القانون هي الحكمـــــة " (٢) .

بهذا التصور أراد " لاهوتسيه " أن يحل المشكلات القائمة ، ليس بالإصلاح وإنما بالعزلة وعدم المشاركة فيما يدور من أحداث بل عليه أن يصبـــر .

---

(١) الحـوار ص ١٠ .
(٢) قصة الحضارة [ ٤ / ٣٤ ، ٣٥ ] .

**يقول " لاهوتسيه " :**

" إذا كانت الدولة مضطربة مختلة النظام فخير ما يفعل بها ألا يحاول الإنسان صلاح أمورها ، وإذا ما لاقى الإنسان مقاومة فأحكم السبل ألا يكافح أو يقاتل أو يحارب بل أن ينزوي في سكون وأن يكسب ما يريد كسبه بالخضوع والصبر " (١) .

هذا هو الإصلاح في نظر " لاهوتسيه " ولعل هذا يتناسب مع عمره ويبدو أن حالة من الإحباط كانت تسيطر عليه كما يتضح من خلال تعاليمه إن صحت نسبتها إليه .

**أما الإصلاح عند " كونفشيوس " فإنه يتمثل في :**

**الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة والسلوك القويم** من الحكام حتى يقتدي بهم المحكومين . وهو لا يرى أن العزلة تستطيع أن تحل المشاكل ولذلك حاور " لاهوتسيه " وقال له :

" إذا كان واجب كل شخص من آحاد الأمة أن يعتزل في كهف من الكهوف ، فمن الذي يبقى في المدن ليعمرها ، وفي الأرض يفلحها ويزرعها ، وفي الصنائع يمهر فيها ، ومن الذي ينسل ويعمل ليبقى الكون عامراً ببني الإنسان ؟ وإذا كان الاعتزال مقصوراً على الحكماء والفضلاء ، فمن الذي يربي الإنسان ويؤدبه ؟ أم يترك الناس حائرين بائرين لا هادي ولا مرشد " (٢) .

---

(١) قصة الحضارة [ ٤ / ٣٥ ] .
(٢) الديانات القديمة ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

ولذلك انطلق في أرجاء الصين يُعَلِم الناس ويرشدهم إلى الطريق المستقيم الذي ينسجم الكون معه – لينعم الناس بالرخاء وليقضي على الاضطرابات والمشاكل في الدولـــة .

وهو في خطته للإصلاح يحاول أن يرد الصينيين إلى ما يعتقدون فيهم من الأجداد والأسلاف ، فيبين أن القدامى حين أرادوا الإصلاح لم يعتزلوا ولكنهم قادوا عملية الإصلاح من داخلهم ومن داخل أسرهم ... يقول :

" إن القدامى الذين أرادوا نشر الفضائل في أنحاء الإمبراطورية ، قد بدءوا بتنظيم ولاياتهم أحسن تنظيم ، ولما أرادوا أن يحسنوا تنظيم ولاياتهم ، بدءوا بتنظيم أسرهم ، ولما أرادوا تنظيم أسرهم بدءوا بتهذيب نفوسهم ، ولما أرادوا أن يهذبوا نفوسهم بدءوا بتطهير قلوبهم ، ولما أرادوا أن يطهروا قلوبهم ، عملوا أولاً على أن يكونوا مخخلصين في تفكيرهم ، ولما أرادوا أن يكونوا مخلصين في تفكيرهم بدءوا بتوسيع معارفهم إلى أبعد حد مستطاع ، والتوسع لا يكون إلا بالبحث عن حقائق الأشياء ، فلما بحثوا عن حقائق الأشياء أصبح علمهم كاملاً ، ولما كمل علمهم خلصت أفكارهم ، فلما خلصت أفكارهم تطهرت قلوبهم ولما تطهرت قلوبهم تهذبت نفوسهم ، ولما تهذبت نفوسهم انتظمت شئون أسرهم ولما انتظمت شئون أسرهم صلح حكم ولاياتهم ، ولما صلح حكم ولاياتهم أصبحت الإمبراطوريـــة كلها هادئة وسعيدة " [١] .

بهذا التسلسل المنطقي الرائع صاغ " كونفشيوس " فكرة الإصلاح التي يدعو إليها – والباحث لا يستطيع أن يتوقف بالقـــلم عنـــد نقطة معينـــة ، ولا أن

---

[١] قصة الحضارة [ ٤ / ٥٤ ، ٥٥ ] .

يختصر هذا النص الرائع ، ولو لم يرد عن " كونفشيوس " إلا هذا النص لكفاه لما فيه من دعوة إلى الأخـــلاق لاصلاح الفرد والمجتمـــــع .

**وكما يقول " ديورانـــت " :**

" في وسع الإنسان أن ينسى كل ما عدا هذه الألفاظ من أقـــوال المعلم وأتباعـــه ويحتفظ بهذه المعاني التي هي جوهر الفلسفة وقوامهـــا " (١) .

وهناك نقطـــة أخرى اختلف فيها " كونفشيوس " الشاب مع " لاهوتسيه " الشيخ العجوز – ألا وهي :

**رد الاعتـــداء .**

فإن " لاهوتسيه " كان يرى أن الإساءة تقابل بالإحسان ويعتبر أن الإحسان للمسيئ والإخلاص مع غير المخلصين هي إحدى الطرق أيضاً للإصلاح .. يقول :

" إذا لم تقاتل الناس فإن أحداً على ظهر الأرض لن يستطيع أن يقاتلك . قابل الإساءة بالإحسان ، أنا خير للأخيار ، وخير أيضاً لغير الأخيار . أنا مخلص للمخلصين ومخلص أيضاً لغير المخلصين . وألين الأشياء في العالم تصدم أصلبها وتتغلب عليها وليس في العالم شيئ ألين أو أضعف من الماء ، ولكن لا شيئ أقوى من الماء في مغالبة الأشياء القـــوية " (٢) .

أما " كونفشيوس " الشاب فإنه يرى أن الإحسان يقابل بالإحسان والإساءة تقابل بالعدل .. يقـــول :

---

(١) قصة الحضارة [ ٤ / ٥٥ ] .
(٢) نفســه [ ٤ / ٣٥ ] .

" وأنا أقابل الحسنة بمثلها والسيئة بالعـــــدل " [١] .

وتوضيحاً لذلك المبدأ في الإجابة التي أجاب بها على سؤال بعض تلاميذه ما قولك في المبدأ القائل بأن الإساءة يجب أن تجزى بالإحسان ؟

فأجاب بحدة لم يألفها تلاميـــذه منه :

" وبأي شيئ إذن يجزي الإحسان .. ؟ لتكن العدالة جزاء الإساءة ، وليكن الإحسان جزاء الإحســـان " [٢] .

ولا يجوز للإنسان أن يحكم على صواب " لاهوتسيه"وخطأ " كونفشيوس" في هذه النقطة بالذات " لأن كلاً منهما كان رد فعل لمجتمعه ، وهما معاً كانا يريدان الإصلاح ، وإن تغير أسلوب كل منهما " [٣] ، وإن كان أسلوب " كونفشيوس " هو الأنسب في مثل تلك الظـــروف .

---

[١] العقائد والديانات [ ١ / ١٥٧ ] .
[٢] قصة الحضارة [ ٤ / ٥٨ ] وانظر الديانات القديمة ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
[٣] محاضرات في مقارنة الأديان ص ٤٧ .

**بين سقــراط وكونفشيوس :**

هناك شبه اتفاق بين " كونفشيوس " و" سقراط " الذي أتى من بعده في بلاد اليونان – في بعض الوجوه التي عالج كل منهما مشاكل مجتمعة بها :

**أولاً** : جاء " كونفشيوس " في عهد مليئ بالانحراف الخُلقي والتلاعب في أنظمة الحكم والعبث بمصالح الدولة ، وفي نفس الظروف وجدت في الدولة اليونانية التي نشأ فيها " سقراط " الذي وجد " السوفسطائيين " قد اتخذوا من التلاعب بالألفاظ سبيلاً إلى إفساد أخلاق شباب أثينا ، فما كان منه إلا أن دعا إلى ضبط الألفاظ وتحديد الأسماء والمسميات ، نفس الشيئ فعله " كونفشيوس " من قبلـــه .

**ثانياً** : أعرض الاثنان عن الاهتمام بالمشكلات الميتافيزيقية ووجها عنايتهما إلى الأخلاق وتهذيبها ، فلقد أنزل " سقراط " الفلسفة من السماء إلى الأرض ، ومن قبله فعل " كونفشيوس " .

**ثالثاً** : اعتبر " كونفشيوس " أن السماء هادية له ، وهتف قائلاً : أوجدت السماء الفضيلة الكامنة في ذاتي . ونفس الشيئ تصوره " سقراط " الذي اعتبر نفسه إنساناً عهد إليه القدر تنفيذ رسالة مقدسة ، لأهل " أثينـــا " .

**رابعاً** : أعلى " كونفشيوس " من قيمة الأخلاق لدى الفرد ليعود نفعه على المجتمع ، كذلك فعل " سقراط " إذ أنه أعلى من قيمة الأخلاق عند الفرد والمجتمـــع ، واعتبر أن الفضيلة علم والرذيلة جهـــل .

**خامساً** : اهتم كل من " كونفشيوس " و " سقراط " بالتعاليم الشفوية وتعليم التلاميذ لحمل الأفكار من بعدهم ، واشترك " كونفشيوس " و " سقراط " في عدم تأليف أي واحد منهم كتب تحمل تعاليمه وفلسفته [١] واعتمدا على النقـل الشفهي لأفكارهمـا .

**موقف " كونفشيوس " من الألوهـية والبعث :**

مر بنا أن " كونفشيوس " كان على ديانة قومه ، فقد كان يقدم القرابين ويقوم بواجب العبادة كسائر قومه من الصينيين .

وكان يعتقد في قوة غيبية مسيطرة – وصرح بأن تلك القوة تراه وتسمعه وكان يعترف بوجود أرواح أرقـى من البشر ولكنه أصحب اعترافه بإنكار معرفة شيئ عنها مع أنها تشغل كل الأماكن ، ومع ذلك تستحيل مشاهدتها أو الاتصال بهـا [٢] .

وهذا يجعلنا نذهب إلى أنه يعتقد في الألوهـية ، وإن كانت الفكرة عنده مشوهة وغير واضحة ، وهو كغيره من أصحاب النزعات المادية يعتقد في قوة عُليا ولكنها في صورة محسوسة . أما فيما يتعلق بالبعث والحياة بعد المـوت :

فإنه كغيره من الصينيين لا يهتمون بالحياة الآخرة ، وإنما كل اهتمامهـم بالحياة الدنيا وتحقيق المصالح فيها .

---

**[١] انظر الديانات القديمة ص ٩٥ وحكمة الصين [ ١ / ٦٨ ] وانظر تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم ص ٥٢ ـ ٥٤ ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثانية ١٩٤٦ .**

**[٢] الديانات والعقائد في مختلف العصور [ ١ / ١٥٥ ] .**

فديانة الصين التي كان عليها " كونفشيوس " كانت " لا تهتم بالبعث ولا تهتم إلا بحاضر الإنسان . ولم تفكر في نشور أو حساب " [١]

كذلك فعل " كونفشيوس " الذي أخذ بهذه الديانة ولم يزد عليها ، فلم يؤمن بالآخرة ولم يفكر في الحياة بعد الموت ، بل كان كل همه في إصلاح الحياة الدنيـــا [٢] .

وقد وردت عنه عبارات جعلت بعض الباحثين يذهبون إلى أنه كان شاكاً في كل شيئ فقد سأله أحد تلاميذه عن خدمة أرواح الموتى فقال له " لم نقدر على خدمة الأحياء فكيف نقدر على خدمة الأمـــوات . وقال له تلميذه : أسأل حضرتك مجترئاً عن الممات . قال له الأستاذ : لم نعلم الحياة فكيف نعلم الممـــــات " [٣] .

وقد استفسر مريد آخر عن الموت فأجابه " إنك لا تفهم الحياة ، فكيف يتأتى لك فهم المــوت " [٤] .

والذي يستعرض كتابه " الحوار " المترجم عن الصينية إلى العربية وما نقل من كتابه " المختارات " لا يرى أي أثر للإيمان بالآخرة والحياة بعد الممـــات " [٥] .

---

[١] **الديانات والعقائد في مختلف العصور [ ١ / ١٥٤ ] .**
[٢] **الديانات القديمة ص ٩٠ .**
[٣] **الحوار ص ١٠٣ وقصة الحضارة [ ٤ / ٥٣ ] .**
[٤] **حكمة الصين [ ١ / ٧٦ ] .**
[٥] **انظر الحوار ص ١٠٣ وما قبلها وما بعدها . وحكمة الصين [ ١ / ٨٧ ] .**

**ومن هذه العبارات السابقة وغيرها اختلف الباحثون في أمره .**

فالبعض اتهمه بالإلحاد والبعض ذهب إلى أنه ينتمي إلى مذهب الشك والبعض الآخر ذهب إلى أن الشجاعة لم تسعفه لسبب أو لآخر للإفصاح عن حقيقة أفكـــاره [١] .

والذي يميل إليه الباحث من خلال دراسته لآراء " كونفشيوس " أنه كان يؤمن بقوة غيبية عُليا – يعتقد أنها المهيمنة على العالم . ولكن هذا الإيمان يشوبه كثير من الاضطـــراب وعدم الوضوح ، شأنه شأن أي فكر بشري ليس له هـــاد من الوحــــي .

أما فيما يتعلق بالبعث فإن الواضح من تعاليمه أنه رفض أن يتحدث عن الأمـــور الغيبية خاصةً ما بعد المـــوت ، مع أن هناك نصو صاً أخرى تبين أنه كان يقدم القرابين للأرواح ويوصي تلاميذه بذلك ، فلعل ما نسب إليه من عدم اهتمامه بما بعد الموت ، ليس من أقـــواله ، وإنما من أقوال تلاميذه – الذين كانـــــوا لا يؤمنون بالبعث – أما هو فإن تقديمه للقرابين والعناية بأرواح الأموات – يشعرنا أنه كان يؤمن بالبعث وإن لم ترد لنا تفاصيل عن تصوره للبعث بعد المـــوت .. وعلى هذا فإن حكمنا النهائي عليه أنه كان مادياً ، مؤلهاً يعترف بالألوهيـــة ولكن في صورة محسوسة وهذا ما يجعلنا ، نذهب إلى أن ديانة الصين من الديانات الوضعيـــة – المؤلهـــة ...

---

[١] حكمة الصين [ ١ / ٧٦ ] .

**ثالثاً : الصينيون بعد كونفشيوس :**

لقد انتشرت فلسفة " كونفشيوس " انتشاراً واسعاً واتخذها بعض رجال السياسة وسيلة إلى تولي المناصب في الدولـــة .

وقيض لهذه الفلسفة بعض التلاميـــذ الذين هذبوها وأنشأوا المدارس لتعليمها للناس ، ولكن لم تسلم هذه الفلسفة من النقـــد ، بل ومن وقوف أصحاب السلطة أمام انتشارها ، فقد " سعى " شي هوانج – دي " صاحب الحول والطول يعاونه رئيس وزراء من طائفة القانونييـــن للقضاء على نفوذ " كونفشيوس " فأمر أن يحرق كل ما كان موجـــوداً وقتئذ من الكتابات الكونفشيوسية " (١) .

ولكن كتب لفلسفته وأنصاره النصر في آخر الأمر واختفى كل من عداه من الفلاسفة ووصل الأمر بالصينيين أن اتخذوه معبوداً لهم على منهجهم في عبادة الأسلاف وأقاموا له المعابد والهياكل . وصنعوا له التماثيل وصلّوا له وبجوار ضريحه بنى هيكل عظيم تقام فيه حفلة الذكرى الرسمية منذ قديم الزمان حتى العصر الحاضـــر (٢) .

---

(١) قصة الحضارة [ ٤ / ٦٦ ] .
(٢) انظر مقدمة الحوار لمحمد مكين ص ١٠ والديانات والعقائد [ ١ / ١٥٤ ] .

## تعقيب على الديانة الصينيـــة

**أولاً** : تبين للباحث أن علماء الإسلام اهتموا منذ وقت مبكر جداً بالصين وأهلها ، وأن المسلمين جابوا تلك البلاد . للدعوة إلى الإسلام وللضرب في الأرض ابتغاءً لفضل الله من الرزق الحلال ، وفي أثناء تجوالهم كانوا يرصدون معتقدات الصينيين الذين ينزلون بأرضهم ، وما حدث من المسلمين يبطل مزاعم الغربيين الذين يدعون أن معرفة الصين مرتبط بالأوربيين خاصةً حركة التنوير في القرن الثامن عشر . وللأسف فإن البعض (١) عندنا يحاول جاهداً طمس جهود علماء المسلمين خاصةً في علم مقارنة الأديان . على الرغم من أن المسلمين بحثوا ونقبوا في شتى المعارف يوم أن كانت تعيش أوربا في ظلمات بعضها فوق بعــض .

---

(١) أذكر هنا واقعة حدثت معي شخصياً مع الأب " جورج شحاته قنواتي " وكان وقتها مديرا لدير الآباء الدومنيكان بالقاهرة . ذهبت إليه لأجري معه حواراً حول بعض القضايا التي أثرتها في رسالتي للماجستير . وكانت تحت عنوان ( اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام ) فسألني في البداية لِمَ اخترت علم مقارنة الأديان ؟ وهل تجيد لغات أجنبية ؟ ثم حاول أن يصرفني عن دراسة الأديان ، ودار بيني وبينه محاورة ومجادلة في هذا الشأن وذكرت له أن القرآن الكريم أشار في كثير من آياته إلى الموازنة بين الحق والمعتقدات الباطلة من نحو قوله تعالى ( يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ) سورة يوسف الآية ٣٩ . ونحو قوله تعالى ( ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ) سورة يونس الآية ١٨ . وذكرت له الكثير من الآيات التي تحدثت عن مجادلة المشركين وغيرهم من أصحاب الديانات الوضعية كالفرس وغيرهم . ثم أوردت له جهود علماء الإسلام في علم مقارنة الأديان – كالمسعودي وابن النديم الذي أشار في فهرسته إلى كثير من كتب أصحاب الديانات المغايرة للإسلام . وحجة الإسلام الغزالي ، والقرافي ، والبيروني ، وابن تيمية وغيرهم الكثير . كتبوا ، وصنفوا وجادلوا أصحاب الديانات الأخرى يوم أن كانت أوربا لا تعلم عن غيرها من الشعوب أي شيئ . وكان الأب " جورج قنواتي " لا يقابل الحجة بالحجة مكتفياً بامتعاضه مما سمع ورفض المناقشة في القضايا التي أثرتها أمامه في المسيحية . وتركني مع أحد الرهبان في الدير ليدلني على مواضع بعض كتب العقيدة المسيحية خاصة الكاثوليكية في مكتبة الدير . وقد أشرت في مقدمة كتابي " اليوم الآخر " إلى هذه المقابلة باختصار . [ انظر اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام طبعة ثانية ١٩٩٢ ] .

**ثانياً** : أن الصينيين شأنهم شأن غيرهم من الأمم الوثنية تعبدوا لمظاهر الطبيعة المختلفة ، وكان القاسم المشترك بين العوام ، والخواص عندهم عبادة الأسلاف . ونصب التماثيل لهم ، وتقديم القرابين في بيوت العبادة المُعَدَة لهذا الشـــأن .

**ثالثاً** : بدت التعاليم الأخلاقية بارزة عند الشخصيات الصينية القديمـــة " كلاهوتسيه " و " كونفشيوس " وتركزت هذه الأخلاقيات حول حب الأسرة واحترام الوالدين ، وإحياء تعاليمهم . والباحث يرى أن تركيز الصينيين القدماء على التعاليم الأخلاقية والسلوكيات الفاضلة إن دل على شيئ فإنما يدل على ميراث ضخم من تلك التعاليم توارثها الصينيون ولا نستبعد أن تكون هذه التعاليــم الأخلاقية من بقايا الوحي الصحيح الذي نجزم بأن الصينيين كأمة من الأمم جاءها نذير بدون تحديد اسمه أو كتابه ، لقوله تعالى ( **ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون** ) [١] .

**رابعاً** : من خلال الغوص في ديانة الصين وسبر أغوارها . تبين أنهم انحرفوا عن التوحيد إلى تقديس مظاهر الطبيعة المختلفة ، وهذا يؤكد أن التوحيد كان هو الأصل ، ثم جاء الانحـــراف بعد ذلك إلى الوثنيـــة وهذا ما وُجد عند الصينيين وغيرهـــم من الأمم .

---

[١] **سورة غافر الآية : ٧٨** .

## أهم المراجع والمصادر

= **القرآن الكـــــريم .**

= **كتب السـنة .**

**ابن الأنبـــاري :**

كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي .

= الداعي إلى الإسلام – دار البشائر الإسلامية . بيروت ١٩٨٨م .

= **ابن الأثيـــر :**

أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجوزي الملقب بعز الدين المعروف بابن الأثير .

= الكامل في التاريخ – دار صادر للطباعة ١٩٨٢ .

د / **إبراهيم أحمد زرقانه**

= حضارة مصر والشرق القديم – الناشر مكتبة مصر

**الشيخ / إبراهيم البيجوري .**

= أديان الهند الكبرى – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الرابعة ١٩٧٦ .

**أحمد عطية الله .**

= القاموس الإسلامي – دار الشعب .

**د / أحمد عبد الغفور .**

= الديانات والعقائد في مختلف العصور – دار مكة .

**أحمد نجيب .**

= الأثر الجليل لقدماء وادي النيل – مطبعة بولاق ١٨٩٩ م .

**أرنولـــد**

( السير توماس أرنولــد ) .

= تاريخ الدعوة إلى الإسلام – مكتبة النهضة .

**البيـــروني**

( أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ) .

= تحقيق ما للهند من مقولة – عالم الكتب .

= الآثار الباقية .

**صاعد الأندلسي .**

= طبقات الأمم – بيروت ١٩٦٥م .

**محمود أبو الفيض المنوفي .**

= الدين والفلسفة والعلم – دار الكتب الحديثة .

**الطـــبري**

( أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ) .

= تاريخ الطــبري .

**أنطون ذكري – أمين المتحف المصري .**

= الأدب والدين عند قدماء المصريين .

( جيمس هنري براستد ) .

= العصور القديمة – ترجمة داود قربان مؤسسة عز الدين ١٩٨٣م .

د / بركات عبد الفتاح دويدار .

= الوحدانية – دار النهضة المصرية ١٩٧٨م .

البغــــدادي

= الفرق بين الفِرَقْ – دار التراث .

بروكلمــــان

( كارل بروكلمـــان ) .

= تاريخ الشعوب الإسلامية

توينبي – أرنولـد .

= تاريخ الحضارة الهيلينية – مكتبة الأنجلو ١٩٦٣م .

ابن تيميـــة

( تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية ) .

= الإيمان – من مجموع الفتاوي جـ ٧

جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي .

= تفسير الجلالين – مكتبة مصر بالفجالة .

**د / جـــواد علي**

= المفصل في تاريخ العرب – دار العلم للملايين .

**الجويني – إمام الحرميـــن .**

= الشامل في أصول الدين – نشر دار العرب

**حبيب سعد .**

= أديان العالم – دار التأليف والنشر

ابن حـــــزم

( أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري )

= الفصل في الملل والأهواء والنحل – مكتبة السلام .

**د / سليم حسن**

= مصر القديمـــة

ابن خلـــدون

( عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ) .

= كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر – دار الكتاب اللبناني .

**الدينوري – أحمد بن داود .**

= الأخبار الطوال – دار المسرة – بيروت .

**وول ديورانت**

= قصة الحضـــــارة – الهيئة العامة للترجمة والتأليف والنشر .

**رادا كرشـــــنا**

= الفكر الفلسفي الهندي – ترجمة ندرة اليازجي – الناشر دار اليقظة العربية

**الـــرازي**

( فخر الدين بن ضياء الدين عمر الرازي – المشتهر بخطيب الري )

= التفسير الكبير – دار الفكر .

= اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .

**الزمخشـــــري**

= الكشاف – طبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٧١م .

**رحمات داتو بحر الدين**

( د / رجاج أورانج كلي رحمات بن داتو بحر الدين ) .

= التفكير الديني في العالم قبل الإسلام – ترجمة د / رؤف شلبي – دار الثقافة – الدوحـــة .

**د / رفقي زاهــر .**

= قصة الديانات – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

**( الشيخ / محمد أبو زهــــرة ) .**

= الديانات القديمة – دار الفكر العربي .

**سليمان مظهــر**

= قصةِ الديانات – دار الوطن العربي .

**سيد قطــــــب .**

= في ظلال القــرآن – دار الشروق .

**الشهرستاني**

( الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ) .

= الملل والنحل بهامش الفصل – الناشر دار السلام العالمية .

= نهاية الإقدام في علم الكلام .

**القاضي عبد الجبار**

= المغني – المؤسسة المصرية العامة للترجمة والنشر .

**الأستاذ / عبد الكريم الخطيب .**

= الله والإنسان – دار الفكر العربي .

**د / عبد المنعم النمر**

= تاريخ الإسلام في الهند – الطبعة الأولى ١٩٥٥م .

**د / عبد الواحد وافي .**

= الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام – دار نهضة مصر ١٩٨٣ .

**عباس محمود العقـــاد**

= الله – نشر دار المعارف ١٩٦٩م . الطباعة المحمدية .

**د / علي زيعـــــور .**

= الفلسفات الهندية – الناشر دار الأندلس ١٩٨٣م .

**د / عوض الله حجـــازي .**

= مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام .

**د / فتحي الزغبي**

= القرابين البشرية – مطبعة غباشي بطنطا ١٩٩٠ م .

= غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام – مطبعة غباشي .

**د / عبد المعطي بيومي .**

= جذور الفكر المادي – دار الطباعة المحمدية .

**د / فرج الله عبد الباري أبو عطا الله**

= اليوم الاخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام – دار الوفاء ١٩٩١ .

**القرطبي**

( الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبيبكر فرج الأنصاري ) .

= تفسير الجامع لأحكام القرآن – الهيئة المصرية العامة للكتاب .

**ابن قدامة**

( أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامـــة ) .

= المغني – الناشر دار هجر – القاهـــرة .

**كونفشيوس**

= الحوار – ترجمة محمد مكين – المطبعة السلفية ١٣٠٤ هـــ .

**د / محمد إسماعيل الندوي**

= الهند القديمة وحضارتها .

**د / محمد بن الشريف**

= الأديان في القرآن الكريم – طبعة دار المعارف .

**محمد شبـــــل**

= حكمة الصين – دار المعارف .

**د / محمد عبد العال الحسيني**

= في العقائد والأديان – الهيئة العامة للكتاب ١٩٧١ .

**د / محمد غـــــلاب**

= الفلسفة الشرقية .

**ابن منظور – جمال الدين بن منظـــور .**

= لسان العرب – دار صادر بيروت ١٩٦٥م .

**المسعودي**

( أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي )

= مروج الذهب ومعادن الجوهر – الناشر دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م .

**موريس كروزيـــه**

= تاريخ الحضارات العامة الشرق واليونان القديمة – إشراف موريس كروزيه

**محمد فريد وجدي**

= دائرة معارف القرن العشرين .

**ابن النديـــــم**

( محمد بن إسحـــاق ) .

= الفهرست – طبعة طهران – تحقيق رضا تجدد .

**( د / علي سامي النشار )**

= نشأة الفكر الفلسفي – دار المعارف .

**هـــ – ج ويلـــز**

= معالم تاريخ الإنسانية – الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

**يوسف كـــــرم**

= تاريخ الفلسفة اليونانية – لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦م .

**د / يحيى هاشـــم**

= عوامل وأهداف نشأة علم الكلام – مجمع البحوث الإسلامية .

# الفهرست

## تعريف بالمؤلف

**أ.د/ فرج الله عبد البارى أبو عطا الله .**

- ولد فى دقادوس ـ ميت غمر ـ دقهلية فى ١٩٥٩/٥/١٣ م.
- تلقى تعليمه فى الأزهر الشريف منذ السنة الأولى الابتدائية حتى حصل على الليسانس فى أصول الدين والدعوة الإسلامية عام ١٩٨١م بمرتبة الشرف .
- عين معيدا فى قسم مقارنة الأديان سنة ١٩٨١ م .
- حصل على درجة الماجستير فى العقيدة والفلسفة بتقدير ممتاز عام ١٩٨٧ م فى موضوع اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام .
- صدر قرار تعيينه مدرسا مساعدا فى قسم العقيدة والفلسفة عام ١٩٨٧ م.
- حصل على العالمية الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٩٠م فى موضوع موقف القرآن الكريم من الفكر المادى .
- صدر قرار تعيينه مدرسا بقسم العقيدة والفلسفة ١٩٩٠/١٠/٣ م .
- رقى إلى درجة أستاذ مساعد فى قسم العقيدة والفلسفة فى ١٩٩٥/١/٤ م .
- أعير إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بكلية أصول الدين بالرياض قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة اعتبارا من ١٩٩٣/١٠/٢٦ م إلى ١٩٩٩/٨/٢١
- أختير فى فترة إعارته ضمن أحد عشرة أساتذة حققوا سبق الإنجاز والجدية فى الإرشاد الطلابى والبحث العلمى فى كلية أصول الدين بالرياض .
- رُقى إلى درجة أستاذ فى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة فى ٢٠٠٠/١١/٨ م .
- سافر إلى كل من تركيا وسوريا لزيارة دور الكتب فيهما وتصوير بعض المخطوطات، وزيارة كلية الإلهيات بمرمرة باستانبول .
- يقوم بخطبة الجمعة فى مساجد وزارة الأوقاف والجمعيات الأهلية منذ سنة ١٩٧٩م .

المؤلفات العلمية :-

١- اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام ـ طبعة ثانية ـ دار الوفاء .

٢- موقف القرآن الكريم من الفكر المادى ـ رسالة دكتوراه (مخطوطة) .

٣- النزعة الإلحادية فى النظريات العلمية ـ بحث نشر فى حولية أصول الدين عام ١٩٩١ م .

٤- الاختراق اليهودى للمجتمعات الإسلامية نشأته وتطوره طبعة ثانية عام ٢٠٠٠م .

٥- التصور اليهودى للمسيح وعلاقته بالتقارب المسيحى اليهودى المعاصر طبعة ثانية عام ٢٠٠١ م.

٦- نقض دعوى عالمية النصرانية مترجم إلى الإنجليزية عام ١٩٩٧ م حولية أصول الدين بطنطا .

٧- عالم الملائكة ـ دراسة عقدية كتاب عام ١٩٩٨ م.

٨-العلمانية النسبة الدلالة ـ الدوافع بحث عام ١٩٩٩ م حولية اصول الدين .

٩- العقيدة الدينية ونشأتها بين التوحيد والتطور كتاب عام ٢٠٠٠ م.

١٠-العقائد الدينية عند الأمم الوثنية كتاب عام ٢٠٠٠م.

١١- الديمقراطية رؤية اسلامية بحث ـ مقدم إلى الندوة العالمية للشباب الإسلامى فى عمان ـ الأردن عام ١٩٩٨ م.

١٢- بحث عن المادية منشور فى موسوعة المذاهب المعاصرة دار اشبيلية الرياض عام ١٩٩٧ م.

١٣- الاستنساخ ـ بحث مقدم الى اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر عام ٢٠٠٠ م.

رقم الإيداع بدار الكتب المصريـــة
٧٩٣٢ / ٢٠٠٠
مكتبة الأزهر الحديثة
أمام فرع جامعة الأزهر بطنطا
أول طريق سبرباي – كفر الشيــــخ